شرح

رسالة التوحيد

المتن لـ(عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني)

تأليف

الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي

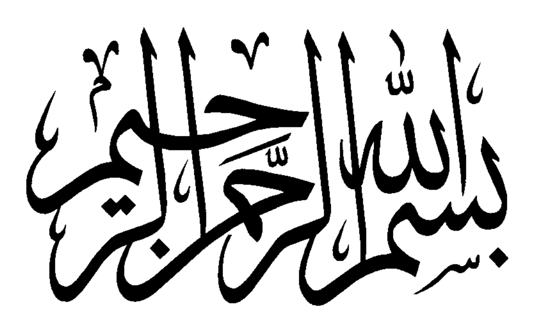
تحقيق

صالح أحمد الدباب



شرح

رسالة التوحيد


بسم الله الرحمن الرحيم

شرح
رسالة التوحيد

تأليف

الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره

تحقيق

صالح أحمد الدَّباب

الطبعة الثانية 1428هـ 2007م



هويّة الكتاب

اسم الكتاب :........................ شرح رسالة التوحيد .

اسم المؤلف :... الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره.

اسم المحقق :........................ صالح أحمد الدّبّاب .

اسم الناشر : .... مؤسسة شمس هجر .

مكان الطباعة :........................ بيروت لبنان .

بريد المحقق على شبكة الإنترنت

Saleh335@NASEEJ.COM

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع ...

إلى أم أبيها ...

إلى زوجة ولي الله تعالى ...

إلى من تربى في أحضانها الحسن والحسين ...

إلى من عصرت بين الحائط والباب ....

إلى من أسقطت جنينها ...

إلى سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء سلام الله عليها ...

راجياً منها القبول والشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم .

صالح أحمد الدَّباب

الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره

اسمه ونسبه قدس سره :

هو العلامة الجليل التقي الشيخ علي نقي[1]، المعروف ببدر الإيمان[2]، ابن الشيخ الأوحد، الشيخ أحمد بن زين الدين بن إبراهيم بن داغر بن رمضان بن راشد بن دهيم بن شمروخ آل صقر المطيرفي الأحسائي .

علومه قدس سره :

ولا شك أن ولادة المترجم كانت في الأحساء «هجر»، وقد تتلمذ على يد أبيه، وعلى جمع من العلماء والأدباء، قال القزويني في رجاله : «الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي، وهو على ما سمعت كان جليل القدر، عظيم المنزلة، يوقرونه كمال التوقير، ويبجلونه كما هو الحال في أكثر من انتسبوا إلى الشيخ والده[3] .

---

(١) كان معروفاً في زمانه بالشيخ علي كما صرح بذلك نظام العلماء بما كتبه بخطه في الصفحة الأولى من المجلد الثاني من الكشكول .

(٢) سماه تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحيم المازندراني، كما جاء في الصفحة الأولى من منهاج السالكين .

(٣) رجال مخطوط مكتبة ملل، رقم : ٣٥١٣ .

وقد ذكره كل من تعرض لترجمته بالإكبار والإجلال، وعظم المنزلة، ورفعة الشأن، وقيل عنه : أنه كان يحفظ اثني عشر ألف حديث مع السند، وما يتلى عنده شعر إلّا قرأه من أوله إلى آخره، والمشهور عن أبيه أنه قال : علي أحفظ مني(١) .

وقال السيد كاظم الحسيني الرشتي : ولقد سمعت أن الشيخ التقي، الصالح العلي، الشيخ علي ابن شيخنا وأستاذنا -أعلى الله مقامه- وكان من العلماء المبرزين، والفضلاء المتبحرين، وكان من حملة الأسرار، ...(٢) .

وقال الميرزا محمد تقي الشريف الممقاني، عند تعرضه لكتاب نهج المحجة : كتاب نهج المحجة في إثبات الإمامة، للشيخ الأعظم، والطود الأفخم، بقية الأوائل، ومجمع فنون العلوم والفضائل؛ علي نقي بن أحمد بن زين الدين الأحسائي -أعلى الله مقامهما، ورفع في الخلد أعلامهما- كان قدّس سرّه من تلامذة أبيه، جامعاً لجل العلوم العقلية والنقلية، حائزاً للكمالات الصورية والمعنوية، حاملاً للأسرار، حافظاً للأخبار، حتى سمعت جماعة ينقلون عنه أنه كان يقول : أحفظ اثني عشر ألف حديث بأسانيدها، وله قدّس سرّه في كل من علمي المعقول والمنقول مصنفات أنيقة متقنة، تشهد لصاحبها الغوص في تيار لا ساحل له، والبلوغ إلى ذروة فضل لا يحاول ...(٣) .

---

(١) إجازات الحاج ميرزا موسى الأسكوئي، مخطوط ص٣٠-١ .

(٢) شرح القصيدة، ص٢٨٣ .

(٣) صحيفة الأبرار، ص٤٥٦ . مقدمة نهج المحجة، ص٢-٣ .

أسفاره قدس سره :

رافق أباه في أكثر أسفاره إلى العراق وإيران، وحصلت له أسفار بمفرده إلى بعض المدن العراقية والإيرانية، نظم في بعضها أبياتاً .

مؤلفاته قدس سره :

١- نهج المحجة في إثبات إمامة الاثني عشر عليهم السلام، في مجلدين، طبع الأول في النجف سنة «١٣٧٠هـ»، مع مقدمة ضافية كتبها العلامة المجتهد الحاج ميرزا علي الحائري، وطبع الثاني في تبريز سنة «١٣٧٣هـ» .

٢- منهاج السالكين في السلوك والأخلاق، بوشر في طبعه بتبريز سنة «١٣٧٤هـ» .

٣- مشرق الأنوار في الحكمة[1] .

٤- رسالة في رد من اعترض على والده في المعاد .

٥- رسالة في تفسير قاب قوسين .

٦- رسالة في شرح توحيد عبد الكريم الجيلاني .

٧- رسالة موسى والخضر .

٨- رسالة في علمه تعالى، وتسمى بالرسالة العلمية أيضاً .

٩- رسالة كتبها بأمر أبيه في أجوبة بعض المسائل .

---

(١) ذكره الميرزا موسى الإسكوئي في إجازته، ص٣١ .

١٠- ديوان شعر .

١١- كشكول في مجلدين .

وله غير ذلك من الكتب في المعقول والمنقول[١] .

وفاته ومدفنه قدس سره :

ذكر وفاته قدس سره تلميذه المازندراني، قال ما نصه : «تاريخ وفاة مولاي وسيدي وسندي، الحكيم العارف الزاهد، المرحوم المغفور له؛ الشيخ علي نقي بن المرحوم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، صبح يوم الأحد الثالث والعشرين من ذي الحجة الحرام، سنة : «١٢٤٦هـ»، في كرمان شاهان .

ودفن في خارج البلد في الطريق الذي يروحون منه إلى كربلاء بوصية منه قدس سره؛ لأنه كان ممن لا يجوز نقل الجنائز، ومات بمرض الطاعون، وقد عاش بعد والده خمس سنوات وأحد عشر يوماً»[٢] .

خطوات تحقيق هذه الرسالة :

اعتمدنا في تحقيق هذه الرسالة على نسختين **الأولى** : وهي نسخة مخطوطة، محفوظة في مكتبة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بمدينة مشهد المقدسة، تحت فهرس رقم : «٧٠٤»، والتي

---

(١) نهج المحجة، ج١، ص٤١ .

(٢) الصفحة الأخيرة من كتاب منهاج السالكين . نهج المحجة، ج١، ص٤-٥ .

تحمل ما بين صفحاتها : «١٥سطـراً»، ومقاس الصفحـة ما بـين «١٢,٥×٢١سم تقريباً»، وعدد صفحاتها : «١٤٤صفحة»، ورمزنا لها بالرمز : «ب» .

والنسخة **الثانية** وهي مخطوطة أيضاً، محفوظة في مكتبة الإمـام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بمدينة مشهد المقدسة، تحـت فهـرس رقم: «١٢٨٠٤»، والتي تحمل ما بين صـفحاتها: «١٧سطـراً»، ومقاس الصفحة «١٢×٢١سم تقريباً»، وعدد صفحاتها ما يقرب إلى «١١٧ صفحة»، ورمزنا لها بالرمز : «ج» .

ويوجد فرق بين هاتين المخطوطتين، لأن يوجد بين المخطوطـة الأولى وهي التي اعتمدنا عليها اعتماداً كلياً، وبين المخطوطة الثانيـة نقص في كثير من الكلمات، ونحن أثبتنا الاختلاف في الهامش بينهما بالزيادة أو النقصان .

وبعد مطابقتها وتقطيعها وترقيمها، أرجعنا الآيات والروايـات التي اقتبسها المؤلف تَدَّسُ إلى مصادرها الصحيحة قدر الإمكان، مـع مطابقتها على المصارد التي بين أيدينا، مع ضبطها وإكمالها في الهامش، ومع ما بذل من الجهد، فقد يرى القارئ العزيز بعض الروايات التي لم يتم العثور على تخريج مصادرها في المصادر التي لدينا، فنلتمس العذر والسماح .

ولكي يستفيد القارئ الكريم أدرجنا لكل مطلب عنوان يناسبه، حتى يحصل على الفائدة المطلوبة إن شاء الله تعالى .

كلمة شكر وتقدير :

وفي الختام أحب أن أشكر كل من ساهم في إنجاز هذا الكتاب، وعلى الخصوص الأخ الموقر سماحة الشيخ **سعيد محمـــد القريـــشي**، والأخ الكريم سماحة الشيخ **مجتبى طاهر السماعيل**، فجزاهما الله خير الجزاء، وجعل عملهما وعملنا ذخراً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سيلم .

ونسأل الله تعالى أن يستفيد من هذا الكتاب جميـــع المـــؤمنين والمؤمنات بحق حبيبه المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين .

الراجي عفو ربه

صالح أحمد الدَّباب

٢٢-٣-١٤٢٨هـــ / ١٠-٣-٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جل عن التشاكل والتشابه فلم يعرف وتنزه عن التحديد بالكمال عن النقص فلم يوصف احمده بما اعطى واشكره على ما هدى والصلوة والسلام على عبده ورسوله المعبّر عنه بقوله مثل نوره وعلى اله النجباء وصحبه الاتقياء وبعد فيقول الفقير المسكين على نقي بن احمد بن زين الدين انه لما وقع بصري الفاتر ونظري القاصر على رسالة لبعض اهل التصوف ممن يدعي المعرفة والوصول فقد ضرب بينه وبينها بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب اذ لم تقدم امامه مصباحا من مشكوة النبوة يهتدي به في ظلمات الجهل ولم يركب سفن النجاة فتاهت به البيداء وضلت به الاهواء فبقي يخبط خبط عشواء لا يهتدي سبيلا ولم يجد له مرشدا ولا دليلا بادرت في شرح كلامه بما يبين فيه الخطاء من الصواب ويميز القشور من اللباب معتصما بوجه الله الكريم من الزلل طالبا منه السداد في القول والعمل وهو ولي من والاه وعون من رجاه وهو حسبي ونعم الوكيل قوله بسم الله الرحمن الرحيم حمدالله

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة [ب]

وا طلاق الاسماء والصفات اذا اريد مفهومها انها تطلق على صفة
حادثة تنسب اليه لنسبة فعلية كما قلنا سابقا ودعوى الضرورة
باطل لانه قياس على نفسه وابناء جنسه فلو تساوتا للنسبة في
الصفات الذاتية لاقتضى ذلك التساوي في الذات او المشابهة
فافهم وقوله لا خلاف في ان الموجودات الخلقية كانت موجودة في علم الله
لعدم جهله دليل على جهله اذ العلم علان وقد مر الكلام مستوفا
فيه وقوله ان شئت قلت كذا وان شئت قلت كذا الخ تعويج في
العبارة وقوله بلا استنارة مبني على قدم العالم في العلم الالهي فراجع
ما سبق واياك والعجلة والخلل ثبتنا الله واياك من الخطاء والزلل
وهذا اخر ما اردته في شرح توحيد عبد الكريم ابن ابراهيم الجيلاني
وقع الفراغ من هذا الشرح على يد مؤلفه علي نقي بن احمد بن زين الدين
الهجري ضحى يوم الجمعة اخر شهر جمادى الاخر سنة الرابعة والعشرين
والمائتين والالف ١٢٢٤ في بلد يزد حرسها الله من طوارق الزمان
محمد واله حامدا مصليا مستغفرا

كتابخانه آستان قدس رضوى

بسم الله

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة [ب]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي جلّ عن التشاكل والتشابه فلم يُعرف وتنزّه عن التحديد بالكمال
عن النقص فلم يوصف أحمده بما أعطى وأشكره بما هدى والصلوة والسلام على عبده
ورسوله المعبّر عنه بقوله أوّل نوره وعلى آله النجباء وصحبه الأتقياء وبعد فيقول الفقير
المسكين علي نقي بن أحمد بن زين الدين الأحسائي أنّه لما وقع بصري على الفائدة ونظري على المقالة
على رسالة لبعض أهل التصوف ممن يدعي المعرفة والوصول وقد ضُرب بينه وبينها
بسورٍ له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب إذ لم يقدّم أمامه مصباحًا
من مشكوة النبوة يهتدي به في ظلمات الجهل ولم يركب سفن النجاة فتاهت به
البيداء وضلّت به الأهواء فيخبط خبط عشواء لا يهتدي سبيلاً ولم يجد له مرشدًا
ولا دليلاً بادرت في شرح كلامه بما يبيّن فيه الخطاء من الصواب ويميز القشور
من اللباب معتصمًا بحبل الله الكريم من الزلل طالبًا منه السداد في القول والعمل
إنه ولي ولاه وغوث من رجاه وهو حسبي ونعم الوكيل قوله بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لله بصفاته توحيدًا بذاته فهو الواحد لا عن توحيد والمحمود قبل الحمد
والتحميد أحمده بصفاته لذاته وأوحده توحيد ذاته في صفاته أقول اعلم
أن الحمد صفة المحمود على الكمالات بل هو مجمع الكمالات ومظهر جميع التعينات
وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله أعطيت لواء الحمد وعلى هذا فصفات
الحمد حملة الصفات والحمد صفة الذات فلما تعلقت تلك الصفات بظهورها من

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة [ج]

من جهة الكلام مستوفاة فيه قوله إن شئت قلت كذا وإن شئت
قلت كذا الخ تنويع في العبارة وقوله بلا استنادة مبني على قدم لطافة
في العلم الإلهي فراجع ما سبق وإياك والعجلة والخطل ثبتنا الله وإياك
من الخطأ والزلل وهذا آخر ما أردته في شرح توحيد عبد الكريم
ابن إبراهيم الجيلاني وقع الفراغ من هذا الشرح على يد مؤلفه
علي نقي بن أحمد بن زين الدين الأحسائي الهجري ضحى يوم الجمعة
آخر شهر جميد الأولى من سنة الرابعة والعشرين والمائتين والألف
من الهجرة النبوية على مهاجرها وآله أفضل الصلاة وأزكى السلام
في بلد يزد حرسها من طوارق الزمان بمحمد وآله حامداً مصلياً
مستغفراً وقع الفراغ من تسويد هذه الرسالة المباركة من نسخة
الأصل التي كتبها المؤلف أطال الله بقاه وجعلني من كل مكروه
فداه بيد ليلى بيده يوم الثامنة والعشرين من شهر شوال
من شهور سنة الرابعة والأربعين بعد المائتين والألف من الهجرة
سنة ١٢٤٤

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة [ج]

بسم الله الرحمن الرحيم

[تمهيد من الشارح قدس سره]

الحمد لله رب العالمين، الذي جلّ عن التشاكل والتشابه فلم يُعرف، وتنزه عن التحديد بالكمال عن النقص فَلم يُوصف، أحمده بما أعطى، وأشكره بما هدى، والصلاة والسلام على عبده ورسوله، المعبّر عنه بقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾[1]، وعلى آله النجباء، وصحبه الأتقياء.

وبعد؛ فيقول الفقير المسكين، علي نقي بن أحمد بن زين الدين، أنه لما وقع بصري الفاتر، ونظري القاصر، على رسالة لبعض أهل التصوف، ممن يدعي المعرفة والوصول[2]، وقد ضرب بينه وبينها

(١) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٢) **الصوفية** لها استعمالان : «**الأول** : أن المقصود من الصوفية هو كل من إلتزم بتطبيق أوامر الله تعالى، ... وابتعد عن نواهيه تعالى، من تجاف عن الدنيا والزهد فيها، وتصفية النفس ومحاسبتها، والإخلاص له تعالى، ولا شك أن هذا المعنى ليس بمذموم، بل مما حث عليه الشارع المقدس، قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : (**إن خياركم أولو النهى .**
قيل : يا رسول الله ومن أولو النهى؟ .
قال : هم أولو الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدين للفقراء والجيران والأيتامى، ويطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلون والناس نيام غافلون) . [أصول

....←

بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العـــذاب(١)، إذ لم يقدّم أمامه مصباحاً من مشكاة النبوة، يهتدي به في ظلمات الجهـــل، و لم يركب سفن النجاة، فتاهت به البيداء، وضلت به الأهواء، فبقي

...←

الكافي، ج٢، ص٢٦٦، ح٣٢، باب : المؤمن وعلاماته وصفاته] .

الثاني : أن المقصود هو من يعتقد بالاتحاد ووحدة الوجود، وغير ذلـــك، ولا شك أن أصحاب هذا المعنى مخالفون لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، وأهل بيته عليهم السلام، مذمومون ملعونون على لسانهم عليهم السلام .

عن البيزنطي أنه قال : قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية، فما تقول فيهم؟ .

قال عليه السلام : (**إنهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم، ويحـــشر معهـــم، وسيكون أقوام يدعون حبنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهـــم، ويلقبـــون أنفسهم بلقبهم، يؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منا، وأنا منـــه براء، ومن أنكرهم ورد عليهم، كان كمن جاهد الكفار بين يدي رســـول الله** صلى الله عليه وآله) [سفينة البحار، ج٢، ص٥٧، ح٢]» [نقلاً عن مفاتيح الأنـــوار، ج١، ص٦٦، باختصار بسيط] .

والمقصود من الذي يدعي المعرفة والوصول هو : «عبد الكريم بـــن المرشـــد الجيلاني، عالم متتبع، من القرن الثالث عشر، يميل إلى العرفان والتصوف، لـــه عدة كتب منها : كتاب التحفة العلويـــة، والإنـــسان الكامـــل في الأوائـــل والأواخر، وغير ذلك» . [راجع تراجم الرجال، ج١، ص٣٢٢] .

(١) إقتباس من قوله تعالى : ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيـــهِ الرَّحْمَـــةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ . [سورة الحديد، الآية : ١٣] .

يخبط خبط عشواء، لا يهتدي سبيلاً، ولم يجد له مرشداً ولا دليلاً، بادرت في شرح كلامه، بما يبين فيه الخطأ من الصواب، ويميز القشور من اللباب، معتصماً بوجه الله الكريم من الزلل، طالباً منه السداد في القول والعمل، أنه ولي من والاه، وغوث من رجاه، وهو حسبي ونعم الوكيل .

[تمهيد من الماتن]

قوله : «بسم الله الرحمن الرحيم، حمداً لله بصفاته، توحيده بذاته، فهو الواحد لا عن توحيد، والمحمود قبل الحمد والتحميد، أحمده حمد صفاته لذاته، وأوحّده توحيد ذاته في صفاته» .

أقول : اعلم أن الحمد صفة المحمود بما له من الكلمات، بل هو مجمع الكمالات، ومظهر جميع التعينات، وإليه الإشارة بقوله ﷺ : (**أعطيت لواء الحمد وعلي حامله**)[1] .

(١) قال رسول الله ﷺ : (**أعطيت في علي تسع خصال : ثلاثاً في الدنيا، وثلاثاً في الآخرة، واثنتين أرجوهما له، وواحدة أخافها عليه، وأما الثلاثة التي في الدنيا؛ فساتر عورتي، والقائم بأمر أهل بيتي، ووصيي في أهلي .**
وأما الثلاثة التي في الآخرة؛ فإني أعطى لواء الحمد فأعطيه يحمله، وأتكئ عليه عند قيام الشفاعة، ويعينني على مفاتيح الجنة .
وأما الاثنتان اللتان أرجوهما له؛ فإنه لا يرجع بعدي كافراً ولا ضالاً .
وأما الواحدة التي أخافها عليه؛ فغدر قريش به بعدي) . [الخصال، ص٤١٥، ح٦، باب : التسعة] .

فصفات الحمد حمد الصفات[1]، والحمد صفة الذات، فلما تعلقت تلك الصفات بظهورها من المحمود بالحامد، فعلاً وحالاً ومقالاً، ضجت إليه اللغات المختلفة، لا يشابه لسان منها لساناً آخر، ولا يخالف شيء منها إرادته، قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾[2] .

فحمدها له جريانها على مقتضى إرادته، وظهور كمالاتها، واستقامة شؤونها وأحوالها بما أعطاها، كل بصفاته الظاهرة له فيه، والباطنة به عنه، من خصوصياتها وخواصها، وإبراز كمالاتها وتوجهها إلى مبادئها وغاياتها، فلا يثني عليه، ولا يحمده شيء من الموجودات إلّا بما أعطاه، وتلك صفات للمحمود، فكل حمد للموصوف، فلم تبق ذرة من ذرات الوجود في كل لحظة إلّا وهي معلنة بالشكر لمولاها، شكر وجود وإيجاد، ناطقة بالحمد حمد قبول واستعداد، كما أخبر عنه سبحانه: ﴿**وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ**﴾[3] .

فوجودها وشأنها وحالها مقر بالوحدانية لله، مذعن بالعبودية،

---

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب»: «أردت حمده؛ يعني صفات الحمد، حمد الحمد، لأنها صفته، والصفات الثانية هي الصفات العاليات؛ أي: صفات الحمد حمد لله للصفات العاليات». [منه قدس سره] .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٤ .

(٣) سورة الرعد، الآية: ١٥ .

منـــزه له عن الأضداد، فهم موحدون من حيث لا يشعرون، فطروا على التوحيد، وأشركوا من حيث لا يعلمون .

[التوحيد : حقيقته ومراتبه]

وقوله : «توحيد بذاته»؛ يريد أن حقيقة التوحيد توحيد الحـــق للحق وغيره شرك، كما يأتي الإشارة إليه في عباراته، وهـــو المـــراد بقوله: وهو الواحد لا عن توحيد زائد على ذاته .

واعلم أن التوحيد توحيدان؛ صفاتي وذاتي، فالـــصفاتي لـــه[(١)] مراتب بعدد أنفاس الخلائق، على حسب تجليات الحق للخلق، فكلما تجلى في مقام ورتبة، فهي توحيد ذلك المتجلي له، ومعبـــوده الـــذي يصمد إليه، وذلك أن الحق يظهر له في صفة من صفاته، فيعبده مـــن تلك الصفة؛ لأنها وجه الله له الذي يتوجه إليه منه، ولـــذا اختلفـــت مراتب الموحدين على حسب اختلاف مظاهره، ويجمعها كلها أربـــع مراتب كلية؛ **المرتبة الأولى** : توحيد العبادة، الذي أتت بـــه الأنبيـــاء والرسل، النافي للشرك الظاهر والشركاء بنفي الإثنينية، وإثبات الصانع بلا مشاركة في صفة ولا فعل، المعبّر عنه بقوله : ﴿**وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً**﴾[(٢)] .

ويلزمه الإقرار بالتوحيد في الأفعال والصفات، قال ســـبحانه :

---

(١) له غير موجودة في «ن–ج» .

(٢) سورة النساء، الآية : ٣٦ .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١] .

وتوحيد الذات قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٢] .

المرتبة الثانية : توحيد الذات بإفراد القدم عن الحدوث، ومنه بالصفات الذاتية، وتنـزيهه عن كل نقص ووصمة، وعن كل ما لا يجوز على غيره .

والمعرفة في هذه المرتبة إنما تحصل بالآثار، وهي أوّل المعرفة المؤدية إلى التصديق، وهو المراد بقول أمير المؤمنين عليه السلام : **(ليس بإله من عرف بنفسه، هو الدال بالدليل عليه، والمؤدي بالمعرفة عليه)**[٣]، وقوله عليه السلام : **(توحيده تمييزه عن خلقه، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)**[٤] .

المرتبة الثالثة : التوحيد الشهودي؛ وهو أن تشهد الحق في كل شيء، حتى يكون تجليه في كل شيء تجليّ الظهور، وتراه محتجباً عن كل شيء، فيكون بصرف وحدته خفيّ البطون، فتشهد عين خفائه في ظهوره، ونفس غيبته في حضوره، وما أحسن ما قيل :

---

(١) سورة الشورى، الآية : ١١ .

(٢) سورة الإخلاص، الآية : ١ .

(٣) الاحتجاج، ج١، ص٢٩٩ . بحار الأنوار، ج٤، ص٢٥٣، ح٧، باب : ٤ جوامع التوحيد .

(٤) الاحتجاج، ج١، ص٢٩٩ . بحار الأنوار، ج٤، ص٢٥٣، ح٧، باب : ٤ جوامع التوحيد .

خفـــي لافـــراط الظهـــور تعرضـــت
لادراكـــــه أبـــصار قـــوم أخـــافش
وخطّ العيون النجــل مــن نــور [وجهــه
وغرّتـــه خـــط العيـــون الأعـــامش

وحينئذٍ تعلم أنه لا إله إلّا الله، فهو أظهــر مــن أن يوصــف، وأخفى من أن يعرف، لا يعرف بشيء من خلقه، بل تعرف الأشياء به، فطرت العقول على معرفته، وهو مع ذلك غير مدرك بها، فيشهد أهل هذه المرتبة الحق ظاهراً في كل شيء][1]، قد انطوت الكثــرة في وحدته، قال الشاعر:

كـــل شـــيء فيـــه معـــنى كـــل شـــيء
فـــتفطن واصـــرف الـــذهن إليّ
كثـــرة لا تتنـــاهى عـــدداً[2]
قـــد طوهـــا وحـــدة الواحـــد طـــي

المرتبة الرابعة : هي التوحيد الحقيقي؛ وهو مقام الفنــاء بنفــي الكثرة، وتحقق الوحدة، ومعرفة الحق بالحق، بلا كيــف ولا إشــارة حسية ولا وهمية، قال علي عليه السلام : **(التوحيد ألّا يتوهمه)**[3] .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

(٢) عدداً غير موجودة في «ن–ج» .

(٣) روضة الواعظين، ص٤٠ . شرح نهج البلاغــة، ج٢٠، ص٢٢٧ . وفي نهــج البلاغة، ص٧٣٠، حكمة : ٤٦٤، بدل : «ألا– أن لا» .

فإذا كشف الموحد سبحات الجلال من غير إشارة، فقد وحّده التوحيد الحقيقي، لفنائه عن نفسه؛ لأنه سبحة من تلك السبحات، فلا يجد إلَّا الحق وحده .

وهذه المراتب كلها مقامات الموحدين، ودرجات العارفين، فكل يسير إلى الله بلا نهاية في مقامات لا تتناهى من مقامات التوحيد، ولا يتجاوز حده ولا مبدءه، والواحد تعالى متعال في جلال عظمته عن درك الطالبين .

وأما التوحيد الذاتي؛ فهو توحيد الحق لنفسه، وهو توحده بلا كيف، فهو الشاهد لنفسه بنفسه؛ بأنه الله الذي لا إله إلَّا هو .

وقولي : توحيد الحق لنفسه؛ تعبير وكناية عن عدم إدراك أحد لكنه ذاته، وإلَّا فحقيقة التوحيد هو المحبة التامة، المشار إليها بمقام أحببت أن أعرف[١]، وهو التعيّن الأول، وذلك صفة الذات، والحجاب الأعظم بسبحات من لا يعرف كيف هو إلَّا هو .

وأما أهل التصوف[٢][٣] فلا يعنون بحقيقة الفناء المطلق، والبقاء في الحق إلَّا الفناء في الذات، والبقاء بها على أنه عينه، وهذا كفر

---

(١) قال الله في الحديث القدسي : (**كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف**) . [عوالي اللآلي، ج١، ص٥٥ . بحار الأنوار، ج٨٤، ص١٩٩] .

(٢) النصوص في «ن-ج» .

(٣) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٧) من هذا الكتاب.

محض؛ لتنـــزه الذات من مجانسة الصفات، فكلما كان غيره في جهة فهو من كل جهة، بل حقيقة التوحيد صفة الموحد -اسم مفعـــول- قائمة به، فلا يكون هي الذات؛ لـــشهادة كـــل صـــفة أنها غـــير الموصوف[(١)] .

فالمحبة والمعرفة مقامان هما منقطع الإشارة، فكل مـــن وحـــده وعرفه، فإنما يوحده ويعرفه بصفة من صفات توحيده، ويدرك نعتاً من نعوته، هو وجهه إليه، ولهذا قال عليه السلام : (**نحن الأعراف الـــذين لا يعرف الله إلَّا بسبيل معرفتنا**)[(٢)] .

فهم المعرفة، فحقيقتهم المحبة التامة المستديرة، التي غايتها نفسها، فهي غاية كل غاية، ونهاية كل بداية .

فحقيقة التوحيد لا يدرك ولا يوصف، فلا يحدد ولا يعـــرف، وقد أشار الشبلي[(٣)] إلى ضيق مسلكه، وصعوبة إدراكه، بقوله : مـــن

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخـــلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف**). [نهج البلاغـــة، ص٣٤، خطبة : ١] .

(٢) بحار الأنوار، ج٨، ص٣٣٨، ح١٦، باب : ٢٥ . وفي تفسير العياشي، ج٢، ص٢٣، ح٤٨، في تفسير الآية : ٤٦ من سورة الأعراف، باختلاف كلمـــة «سبيل» إلى «سبب» .

(٣) قال ابن خلكان : الشِبْلي -بكسر الشين وسكون الباء- نسبة إلى شبليه قرية من قرى أُسْرُوشَنَه -بضم الهمزة وسكون السين، وضم الراء وفـــتح الـــشين والنون- وهي بلدة عظيمة وراء سمرقند من بلاد ما وراء النهر .

....←

أجاب عن التوحيد بعبارة فهو مشرك، ومن أشار إليه بإشـــارة فهـــو زنديق، ومن أوحى[١] إليه فهو عابد وثن، ومن نطق به فهو غافـــل، [ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل فليس له حاصل، ومن ظن أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقـــد][٢]، وكلمـــا ميزتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقـــولكم في أتم معـــانيكم، فهـــو مصروف مردود إليكم محدث[٣]، مصنوع مثلكم[٤] .

...→

[والشبلي هو] : «أبو بكر دلف بن جحدر، وقيل : جعفـــر بـــن يـــونس الخراساني البغدادي المالكي أو الإمامي، تولد في سامراء ونـــشأ في بغـــداد، وصاحب الجنيد والحلاج، وخير النساج، وكان من كبار مـــشائخ الـــصوفية وأهل الحال، يحكى عنه نوادر واشعار وحكايات، ... قيل : أنه كان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر، وكان إذا دخل شهر رمضان جد في الطاعات، ويقول : هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه، تـــوفي ببغـــداد في آخـــر ســـنة : «٣٣٤هـــ» ودفن بمقبرة الخيزران» .

و[قيل] : قد يطلق الشبلي على القاضي بدر الدين أبي عبد الله، محمد بن تقي الدين عبد الله الدمشقي الحنفي، ولي قضاء طرابلس سنة : «٧٥٥هـــ»، قيل : أنه كان من تلامذة المزي والذهبي، له آكام المرجان في أحكام الجآن، توفي سنة : «٧٦٩هـــ»» . [الكنى والألقاب، ج٢، ص٣٥٣] .

(١) أومى في «ن-ج» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) محدث غير موجودة في «ن-ب» .

(٤) راجع تاريخ مدينة دمشق، ج٦٦، ص٥٩ .

وعباراته ألفاظ حديثين أخذهما من أهل الحكمة عليهما السلام، وبيت الولاية، فإن أمير المؤمنين عليه السلام أشار إلى مراتبه بأخصر تعبير بقوله : **(من سأل عن التوحيد فهو جاهل)**؛ لأنه لا تدركه الإشارة، ولا تحده العبارة، فلا يوصف ولا يكيف، بل إنما حظ العقول منه تثبيت الثابت بلا كيف، وهذا هو المقام الرابع مقام أهل الأفئدة، قال عليه السلام: **(كل ما ميّزتموه بأوهامكم، في أدقّ معانيه، فهو مخلوق مصنوع مثلكم، مردودٌ عليكم)**[1] .

ومن أجاب عنه فهو مشرك، قد جعل معه غيره، بل الذي عرفه وأشار إليه ليس هو، فكل من وصفه فقد حده، وكل من حده فقد ميزه، وكل محدود مميز، فهو مصنوع محدث، فلا يجاب عنه باللسان، وإنما تدركه القلوب بحقائق الإيمان، وهذا هو المقام الثالث التوحيد الشهودي، قال عليه السلام : **(ومن عرَّف التوحيد فهو ملحد، قد وصفه بغير ما هو، وسماه بغير اسمه، فمن ادعى أنه أدرك وعرف فقد مال عن الحق وانحرف)**، فإنه أجل من أن ينسب إلى شيء، أو أن ينسب إليه شيء، فلا يدرك من حيث ذاته، بل إنما يعرف من حيث آثاره وصفاته، وهذا هو المقام الثاني؛ أعني المعرفة بالآثار، وهي أوّل المعرفة كما أشرت إليه سابقاً[2] .

---

(١) نور البراهين، ج١، ص٩٢ . بحار الأنوار، ج٦٦، ص٢٩٢ .

(٢) راجع الصفحة رقم (٢٤) من هذا الكتاب .

واعلم أن الإلحاد لا يقع على الذات؛ لأنه ثابت العين، متقدس عن كل صفة وأين، فلا تتوهمه العقول، ولا تقع عليه العبارة، ولا تدركه الإشارة، فالأزل لا تحله الحوادث، ولا النسب والإضافات، فتعالى عن كل وصف، واحتجب بجلال قدسه عن كل نقص ووصمة.

وإنما يقع الإلحاد في الأسماء؛ أعني أسماء الصفات، فافهم .

قال عليه السلام : (**ومن لم يعرف التوحيد فهو كافر**)، ذاهب في بحار الظلمات، مستغرق في لجج الكثرات[1]، منكر قد كفر التوحيد الظاهر في كل شيء، الساري بالقيومية في جميع الكائنات، فلا شيء أظهر منه، ولا شيء إلَّا به .

[معنى الواحد والمحمود]

قوله : «فهو الواحد لا عن توحيد»؛ يريد أنه الواحد لا بتوحيد وتميز عما سواه، بل هو جميع الأشياء وعينها، كما هو المعلوم من مذهبه وهو باطل؛ لأن الحق حق بكل اعتبار، فوحدته هي حقيقة الوجوب الذي هو القدم، وهي تمتنع أن تتعلق بالحوادث، أو تتعلق بها الحوادث ولو باعتبار الظهور لانتفاء الجهة .

قوله : «والمحمود قبل الحمد والتحميد»؛ يريد أنه حمد ذاته بذاته، قبل إظهار ما بطن في عالم العين، وإبراز الأشياء في عالم الأين.

(١) في الحجج المكثرات في «ن-ج» .

والحق أن بالحمد –كما تقدم[1]– صفة حدوث، وكذا المحمدة[2].

وأما الحامدية فهي أثر الظهور الذي هو صفة الجمال، فلا حمد ومحمود إلَّا في الحدث؛ لأن المحمود ذات متصفة بالحمد من حيث الحمد كالقائم، فإنه الذات المتصفة بالقيام، فلا يصح اطلاق القائم على الذات البحت، بل على الذات المتصف بالقيام .

وكذا لا يتصف بالحمد إلَّا الذات المحمودة، نعم يصح أن يقال : بأن له معنى المحمودية قبل الحمد والتحميد، كما أن له معنى الخالقية قبل الخلق، وهي أيضاً عبارة عن عنوان غير الذات البحت؛ لأن الذات البحت لا عنوان له، فلا يصح التعبير عنه بشيء؛ لأن كل تعبير حادث بالضرورة، ومفهومه كذلك حادث، وإلَّا لما وقع عليه التعبير بحال .

فالذات لا يوصف، والوصف إنما هو للأسماء والصفات، قال علي عليه السلام في خطبته : (**من وصف فقد أثبت، ومن لم يصف فقد نفى، وكلا الأمرين خطأ**)، يريد عليه السلام أن الوصف إثبات، والإثبات إدراك للمثبت –اسم مفعول– والله سبحانه لا يدرك ولا يحاط به، فلا

---

(١) راجع الصفحة رقم (٢٠) من هذا الكتاب .

(٢) في هامش المخطوطة «ن–ب» : «المحمدة : اتصاف المحمود بالحمد، والحامدية صفة الحامد» . وفي «ن–ج» : «المحمدة اتصاف المحمود، وكذا المحمدة بالحمدة» . [منه تدّسّ] .

يوصف، وإنما الوصف متعلق بالموصوف من حيث الوصف، فالوصف واقع على الوصف، والذات منـــزه عن وقوع الصفات .

فالحمد صفة كمال عن النقص، والكمال عن النقص لا يوصف به الذات، بل هو صفة حدوث، والذات كامل عن الكمـــال عـــن النقص؛ لأن كماله -جل اسمه- عين ذاته، فلا نقـــص يعتريـــه، ولا كمال له عنه فيه .

قوله : «أحمده حمد صفاته لذاته»، تقدمت الإشـــارة إليـــه[١]، وكذا قوله : «وأوحّده توحيد ذاته في صفاته» .

والحق ما أشرنا إليه؛ من أن توحيد الذات بالصفات لا فيهـــا، بمعنى أنه يحل فيها على أنها هو، بل التوحيد ظهوره للموحد بصفة من صفاته، هي حقيقة ذلك الموحد، وهي حجاب من حجب الصفات، احتجب بها عنها كما تجلى لها بها، قال علي بن أبي طالب[٢] عليه السلام : **(لم تحط به الأوهـــام، بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها)**[٣]، وهي غير الحق تعالى، فإذا عرف وترقى إلى مقام أعلى مـــن الأول، وجـــد الله عنده، وتجلى له بذلك المجلّى، فيعرف حينئذٍ أن ما عبده وقصده قبـــل ليس هو المعبود، وهكذا لا إلى نهاية، وكلها مقامات مـــن مقامـــات

---

(١) راجع الصفحة رقم (١٩) من هذا الكتاب .

(٢) بن أبي طالب غير موجود في «ن-ج» .

(٣) نهج البلاغة، ص٣٧٤، خطبة : ١٨٣ . بحار الأنـــوار، ج٤، ص٢٦١، ح٩، باب : ٤ جوامع التوحيد .

التوحيد، ودرجات الإيمان، وهو المراد بقوله تعالى في الحديث القدسي: (**وليس لمحبّتي غاية ولا نهاية، كلّما رَفَعْتُ لهم علماً وضَعْتُ لهم حِلماً**)(١) .

[معنى الشاهد والمشهود بالنسبة لله تعالى]

قوله : «فأشهد أنه الشاهد بأنه الفرد الواحد الأحد بالعين المقدس عن الحلول في تجليه بكل أين» .

أقول : اعلم أن الشاهد هو المشهود في الظهور والشهود، فشهد لنفسه بنفسه بالوحدانية والفردانية، وأشهد خلقه ما شهد لنفسه بنفسه، إذ الشاهدية والمشهودية فعله وخلقه، فالشاهد هو الظاهر بالألوهية، القائم بالربوبية، والمشهود نفس الألوهية والربوبية، فأثبت الألوهية بالألوهية، قال تعالى اسمه : ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(٢).

فشهادة الحق للحق حق، وشهادة الخلق للحق رسم؛ لأن شهادة الحق تجليه لنفسه بنفسه، وشهادة الخلق للحق تجلي صفته لهم بهم، فوجوداتهم شهادة لشهادته لنفسه بنفسه، فكل ذرة من ذرات الوجود

---

(١) إرشاد القلوب، ج١، ٣٧٣، باب : ٥٥ . بحار الأنوار، ج٧٤، ص٢١، ح٦، باب : ٢ . وفي الجواهر السنية، ص١٥١، باختلاف في بعض الكلمات .

(٢) سورة آل عمران، الآية : ١٨ .

شاهدة بوجودها وتحققها، بشهادة موجدها لنفسه؛ لتقومها به، ولكونها أثر فعله، فهو الواحد الذي ترجع إليه الأشياء، [وتستند إلى فعله وإنشائه كما شاء .

قوله : «الأحد بالعين» هو الثابت بذاته المتقدس عن الحلول، لاستلزام الحلول الاتحاد، وهو محال؛ لأن أخذ الحيثية في البسيط المطلق موجبة لتغير الحقيقة، بخلاف المركب؛ لأنه لو كان واحداً لم يكن اثنين من حيث أنه واحد؛ لأنه من حيث أنه واحد غيره من حيث أنه اثنين، فيلزم أن يكون اثنين حال الاتحاد، وإلّا لما صح الاتحاد، بل واحد لا عن اتحاد فلا حلول، فهو المتقدس عن الحلول بكل اعتبار يمكن فرضه ولو قيومية، إذ القيومية صفة أو حلول؛ يعني أنه منزه عن حلول الوحدة كما يزعمونه، فهو بجميع أنحائه الوحدة الذي هو كينونته، لأن حقيقة الأشياء][(١)] عندهم كينونته، ومقتضى أسمائه وصفاته، فتكون الوحدة حالة في الأشياء، حلول البحر في الموج، والماء في الثلج، فالموجية والثلجية ليست غير البحر والماء، بل تلونهما وتكيفهما، ولذا نفى الحلول بالمعنى الأول بقوله: «المقدس عن الحلول في تجليه بكل أين»؛ يعني أن حلوله ليس بتجليه بالأشياء، ولا في جوهر ولا عرض خارج عن ذاته وصفاته لأنها ليست غيره، بل حلوله هو كينونته التي هي عين كل الأشياء على معتقده، فافهم .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

[الشهادة بالألوهية تستلزم الشهادة بالنبوة]

قوله : «وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم، قطب رحى الموحدين، ونقطة دائرة المحققين، ومحيط مركز المقربين، المتكلم بلسان الجامعية الكبرى، صاحب مقام قاب قوسين أو أدنى، قلب الوجود، وروح كل موجود، سر الله المدغم، وطراز الثوب الْمُعَلَّم، خلاصة الصورة والمعنى، صاحب الحقيقة للأسماء الحسنى، صلى الله عليه صلاته الأسنى، وسلّم سلامه الأكمل الأهنى، وعلى آله وصحبه، وأهل الفخار صورة ومعنى» .

أقول : اعلم أن نفس الشهادة بالألوهية، تستلزم الشهادة بالنبوة، كما أنهما يستلزمان الشهادة بالولاية، لترتبها صعوداً ونزولاً، ولأن كل واحدة منهما واسطة لما فوقها، لعدم تقوم الأعلى بدون الأدنى، فكل رتبة معراج لما فوقها، فلا يتحقق وجود موجود من الموجِد إلّا بواسطة الإيجاد والجعل، وإلّا لم يكن موجَداً -اسم مفعول- أو يكون واجباً لذاته، فتحقق كل شيء شاهد بثبوت جعله، وكونه وموجده، فالشهادة بالألوهية مستلزمة للشهادة بالنبوة والولاية .

أما في التكويني[١] فلما أشرت إليه؛ من أنه لا يمكن أن يوجد شيء من الموجودات إلّا بواسطة النبي والولي صلى الله عليهما وآلهما»، لأنهما نور الله الذي تشعشع من سائر الأنوار، ووجهه الذي

---

(١) التكوين في «ن-ج» .

إليه يتوجه الخلق أجمعون، وقامت به المنفعلات، فكل منفعل فبالفعل كان وإلَّا لم يكن منفعلاً، فلا يصل إلى أحد وجود ولا مدد، ولا جوهر وعرض ولا نسبة إلَّا بالواسطة[1]؛ وهي محمد وآله صلى الله عليه وآله، فهم محل مشيئته، وبابه وسبيله الذي يدعو إليه، ﴿**قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[2]، وإليه الإشارة بقول الحجة عليه السلام في دعاء رجب: (**أسألك بما نطق فيهم من مشيئتك، فجعلتهم معادن لكلماتك، وأركاناً لتوحيدك، وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان، يعرفك بها من عرفك، لا فرق بينك وبينها إلَّا إنهم عبادك وخلقك، فتقها ورتقها بيدك، بدؤها منك، وعودها إليك، أعضاد**؛ أي: جعلتهم أعضاداً للخلق في القابليات، لعدم تأهل سائر الموجودات، لقبول الفيض بدون الواسطة القابلة الفاعلة، فهم القائلون والفاعلون.

وأشهاد: على الموجودات[3] والأحوال والأعمال، فلا يبرز فيض ولا رزق، ولا أجل، ولا شيء ما، ولا يصعد عمل، ولا عامل إلى الحق، ولا رضى ولا محبة، وثواب ولا عقاب إلَّا بمشهدهم وشهودهم وشهادتهم، قد أشهدهم خلق السماوات والأرض، فهم الشاهدون والمشهودون.

---

(١) بواسطة في «ن-ج».

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) الوجودات في «ن-ج».

ومناة : جمع ماني؛ يعني مقدرون لذرات الوجــود في إيجادهــا وتكونها في جميع مراتبها، وللأرزاق في تنــزلها وتقسيمها، وللآجــال في توقيعها، وللأعمال في صعودها وقبولها، فهــم في جميــع ذلــك المقدرون بأمر الله .

وأذواد : جمع ذائد، وهو الطارد، فهم يذودون محبيهم عن النار وعن كل بلاء بمحبتهم، ويذودون مبغضيهم عــن الحــوض وعــن الجنة(١)، وعن كل خير ببغضهم .

وحفظة : لكل شي من الوجودات والموجودات، في كل مقــام وكل عمل وقول، وسكون وحركة، وهيئة ووضع، فلا يكون شــيء إلّا وهم الحفظة عليه؛ لأنهم الخزنة لعلم الله، والحفظة لكتاب الله، قال الله تعالى : ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّــا بِقَــدَرٍ مَّعْلُومٍ**﴾(٢) .

وقال –جل اسمه– : ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾(٣)، ﴿**وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ**﴾(٤) .

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**يذود علي عنه يوم القيامة من ليس من شيعته، ومن شرب منه لم يظمأ أبداً**) . [مناقب آل أبي طالــب، ج٢، ص١٦٢ . بحــار الأنوار، ج٨، ص٢٥، ح٢١، باب : ٢٠] .

(٢) سورة الحجر، الآية : ٢١ .

(٣) سورة يس، الآية : ١٢ .

(٤) سورة ق، الآية : ٤ .

ورواد)[١] : جمع رائد؛ وهو المتقدم أمام الطالبين في كل مورد ومسلك فكل صادر ووارد فهم أمامه، لا يصدر إلَّا بهم، ولا يرد إلَّا عنهم، حتى لا يبقى شيء من الوجود إلَّا وهم فيه بالقيومية والإحاطة، أما تسمع قوله عليه السلام : **(فبهم ملأت سماءك وأرضك، حتى ظهر ألَّا إله إلَّا أنت)**[٢]، فشهادة الموجودات لهم شهادة لموجدهم .

وأما في التشريعي؛ فإن الإقرار بتوحيد الله كما أمر، واتباع أوامره، ومعرفة أحكامه، لا يمكن إلَّا بالإقرار بالنبي صلى الله عليه وآله، والتسليم له، لعدم تأهله لقبول ذلك ومعرفته، وتحمل أحكامه، لقصور حقائقهم، وقابليتهم عن ذلك، فلا بد من البرزخ بين الحق والخلق، وهو صاحب المرتبة الجامعة، وكذا حكم الولي؛ لأنه الحافظ لما عند النبي صلى الله عليه وآله، ولا يقدر أحد على تحمل ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله إلَّا هو؛ لأنه نفسه وفيه العصمة مثله، بل حقيقته من حقيقته، ولذا أخبر عن ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : **(أنا من محمد كالضوء من الضوء)**[٣]، وقال رسول

(١) إقبال الأعمال الحسنة، ص١٤٥، في أدعية أيام شهر رجب . البلد الأمين، ص٢٥٤، في دعاء كل يوم من أيام رجب . مصباح المتهجد، ص٥٥٦، في دعاء كل يوم من أيام رجب .

(٢) راجع المصادر السابقة .

(٣) عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَوْصِلِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ : **(جَاءَ حِبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَتَى كَانَ رَبُّكَ؟** .

....←

الله ﷺ لعلي عليه السلام : **(أنت مني بمنـــزلة الرأس من الجـــسد)**(١)، **(أنت نفسي التي بين جنبي)** .

وفي الحديث عن النبي ﷺ : **(كنت وعليـــاً نـــوراً واحـــداً، فافترقنا نصفين في عبد الله، ونصف في أبي طالب)**(٢) .

وقال ﷺ ما معناه : **(خلقني الله وعلياً نوراً واحـــداً** -إلى أن قال- **فقال : للنصف كن محمداً، وللنصف الآخر كن علياً)**(٣) .

...←

فَقَالَ لَهُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ حَتَّى يُقَالَ مَتَى كَانَ؟، كَانَ رَبِّي قَبْلَ الْقَبْلِ بِلَا قَبْلٍ، وَبَعْدَ الْبَعْدِ بِلَا بَعْد، وَلَا غَايَةَ وَلَا مُنْتَهَى لِغَايَتِـــه، انْقَطَعَـــت الْغَايَاتُ عِنْدَه، فَهُوَ مُنْتَهَى كُلِّ غَايَة .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَفَنَبِيٌّ أَنْتَ؟ .

فَقَالَ : وَيْلَكَ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ مُحَمَّدٍ ﷺ) . [أصول الكافـــي، ج١، ص١١٢، ح٥، باب : الكون والمكان . نور البراهين، ج٢، ص٤٣٠، ح٣ . بحار الأنوار، ج٣، ص٢٨٣، باب : ١٢] .

(١) الصراط المستقيم، ج٣، ص١٦١ .

(٢) بحار الأنوار، ج٢٦، ص٣، باب : ١٣ .

(٣) جاء في رواية طويلة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : (... **يا ســـلمان ويـــا جندب، قالا : لبيك يا أمير المؤمنين صلوات الله عليك .**

قال : (كنت أنا ومحمد نوراً واحداً من نور الله عز وجل**، فـــأمر الله –تبـــارك وتعالى– ذلك النور أن يشق، فقال للنصف : كن محمداً، وقال للنـــصف : كن علياً)** . [بحار الأنوار، ج٦٢، ص٣، باب : ١٢] .

فمن لم يشهد بالولي ويعرفه فهو منكر للنبي والـرب، كـافر بالتوحيد، منكر للوجود من حيث لا يعلم، ومن أنكر الإمـام فقـد كذب بالنبي صلى الله عليه وآله، وجحد الإسلام، فلا يظن أنه قصد وعرف، بـل مال عن الحق وانحرف، ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[١].

وقوله: «قطب رحى الموحـدين -إلى آخـره-»؛ ظـاهر في الظاهر.

واعلم أن الموحدين بحقيقة التوحيد هم أركان التوحيد وهياكله، المشار إليها بقول علي عليه السلام في حديث كميل: (**نور أشرق مـن صبح الأزل، فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**)[٢]، وهم (**الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتهم**)[٣].

وفـي الجامعة: (**ومن وحده قبـل عنكم، ومن قصده توجه بكم**)[٤]، فهم الجهة والوجه، وما سواهم فهـم الآثـار وسـبحات الجلال، فافهم.

وقوله: «المتكلم بلسان الجامعية الكبرى»؛ هي مقام أو أدنى في قوله تعالى: ﴿**قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[٥]، فهو الحامـل والمحمـول،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٣٣.

(٢) جامع الأسرار، ص٢٨.

(٣) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب.

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٦١٢. تهذيب الأحكام، ج٦، ص٩٧.

(٥) سورة النجم، الآية: ٩.

والعالم والمعلوم، ومظهر المشيئة في المشاء، وقد ورد عن أهل العصمة عليهم السلام : (**إذا شئنا شاء الله**)، (**ونحن محال مشيئة الله**) .

وقوله : «قلب الوجود ...إلخ»؛ يعني أنه صلى الله عليه وآله يدور الوجود عليه بدءاً وعوداً، «وروح كل موجود»؛ أي : حقيقته «وسر الله المدغم»؛ أي : الحقيقة السارية في جميع الموجودات الذي به كانت وإليه تعود، «وطراز الثوب المعلم»؛ أي : زينة الوجود، لأن الموجودات نقوش فيه، فكل[1] موجود حرف منقوش، ونقش مكتوب، وهو صلى الله عليه وآله زينته وحليته؛ لأنه الناقش والكاتب، والطراز والمطرز؛ لأنه عين الله الواعية، وأذنه السامعة، ولسانه الناطق بكل الحقائق، ويده الباطشة، ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[2] .

[مراتب التوحيد]

قوله : «أما بعد؛ فإن التوحيد عظيم شأنه، عالٍ مكانه، لا يحظى بحقيقته إلَّا أهل الكمال، ولا يبلغ إلى شأنه إلَّا أفراد الرجال، قد أقر الكل بالعجز عن مداه البعيد، واعترف الملأ الأعلى بالقصور عن ذروته العالي المجيد، فالمحققون[3] حول حماه يحومون، والعارفون في لجة من لجج بحاره غارقون .

---

(١) فكل غير موجودة في «ن–ج» .

(٢) سورة الفتح، الآية : ١٠ .

(٣) المحققون في «ن–ج» .

وبالجملة؛ فقد قال تعالى : ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[١]، قل[٢] أن يسلم من الغرق[٣] في تياره السابح، وبَعدَ أن ينجو في مفاوزه السابح، قفاره مزروعة بالموانع، وبحاره متموجة بالقواطع، لا يسع الجاهل أن يستخبر عنه، ولا يصح جواب العالم بما عسى أن يجيب عنه الفصيح، فيه الكل خافت، والناطق عنه أخرس صامت له[٤]، ليس مع الجميع سوى أصل اسمه، ولا يصل الواصلون إلَّا إلى القشر من رسمه[٥]» .

أقول : اعلم أن التوحيد له مراتب لا تتناهى، كما سبقت الإشارة إليه[٦]، وكل مرتبة تنفيها المرتبة التي فوقها، فتكون الأولى بالنسبة إلى الثانية كثرة، فإذا عرج الموحد من مقام إلى مقام آخر، عرف أن الذي كان يعبده ويوحده غير معبوده الحق، وأن تلك العبادة ليست بحق، وهكذا حتى يصل إلى مقام الكشف الذوقي، والتوحيد الشهودي، فظهر له الحق في كل صورة ومعنى، ويتجلى عليه من كل جهة وفي كل شيء، قال الشاعر :

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

(٢) قال في «ن-ب» .

(٣) من الغرق غير موجودة في «ن-ج» .

(٤) له غير موجودة في «ن-ب» .

(٥) عن وسمه في «ن-ج» .

(٦) راجع الصفحة رقم (٢١) من هذا الكتاب .

تجلـــى إلى المحبـــوب مـــن كـــل وجهـــة
فـــشاهدته في كـــل معـــنى وصـــورة

حتى لا يرى إلَّا الحق، فيعلم أن تلك المقامات الأولى حق، وأنه لم يعبد إلَّا الله وحده في كل مقام، وأن كل الخلق متوجهـــون إليـــه، قاصدون إلى وجهه، لا يمكن أحد من الخلق التوجه إلَّا إليه، وأن مـــن عبد غيره وأنكره لم يخرج عن جهاته ومظاهره، وإنما يبق[١] يتوجه إلى جهة غير ما أمر بالتوجه إليها، وعبده بغير ما تعبّد به، لأنه يتعبد كل أحد بما يظهر له به، فيتعرف لك بك، ويتعرف[٢] لزيد مثلاً به، فجهة زيد غير جهتك، فإذا عبدته من جهة زيد فقد جحدته؛ لأنه لم يتعبدك بها، ولم يظهر لك به، بل إنما ظهر لك بك، كما قال عليه السلام: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[٣]، وقال عليه السلام: **(تجلى لها بها، وبها امتنع منها)**[٤]، فلو لم تزعم النملة أن لله زبانين لأشركت به[٥]؛ لأنها

---

(١) يبق غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) ويتعرف غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) مصباح الشريعة، ص١٣، باب : ٥ في العلم . عوالي اللآلي، ج٤، ص١٠٢، ح١٤٩ . الجواهر السنية، ص٩٥، باب : ١٠ . بحار الأنوار، ج٢، ص٢٢، ح٣٢، باب : ٩ .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٥) نور البراهين، ج١، ص٩٢ . بحار الأنوار، ج٦٦، ص٢٩٢ . مشرق الشمسين، ص٣٩٨ .

وصفته بغير صفة الكمال عندها، فيلزمها النقصان عندها[١] فلم تنزهه، فهو سبحانه ظهر لها بصفة الكمال عندها التي هي حقيقتها، فافهم .

واعلم أنه لا يتجاوز أحد مقامه ومبدءه الذي خلق منه، فإذا وصله بقي يحوم حول ربه، في لجة من لجج التوحيد، هي نهاية مقام الموحد، وصفة هيكل من هياكل التوحيد، والتوحيد متقدس عن الدرك والإحاطة، لا يظفر بحقيقته الواصلون، ولا يدركه الطالبون، ولا يعرفه إلّا الله لشهادته لنفسه بنفسه، أنه لا إله إلّا هو، وأشهد خلقه ما شهد لنفسه، فشهد لنفسه بنفسه، شهادة الحق للحق، أو شهدت الملائكة وأولو العلم شهادة وصف، فشهادة الخلق للحق شهادة رسم، فلم يشهدوا لنفسه، بل شهدوا لشهادته لنفسه بما أشهدهم، وعرفوه بما عرفهم، ووصفوه بما وصف لهم نفسه .

فالتوحيد الحقيقي توحيده بقوله : ﴿**هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[٢]، وقال : ﴿**شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلَّا هُوَ**﴾[٣]، فلا يعلم نفسه إلّا نفسه، قد أقر الأنبياء بالعجز عن دركه، والمرسلون بالقصور عن معرفته، واعترفوا بالتقصير في جنبه، كما حكى سبحانه عن عيسى «على محمد وآله

---

(١) عندنا في «ن–ج» .

(٢) سورة الإخلاص، الآية : ١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية : ١٨ .

وعليه السلام» بقوله : ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾(١)، فافهم .

وقوله : «لا يسع الجاهل ...إلخ»، فظاهر تأتي الإشارة إليه إن شاء الله تعالى .

[التوحيد وفناء العبد فيه]

قوله : «اللهم ألا عبد أفناه التوحيد عن توحيده، وجرده عن تجريده، فانطمست كثرته في تفريده، وأشرقت شمس واحديته في تعديده، قد وحد الحق ذاته، وواصل بصفة البقاء إليه بعد الغناء» لطيفه منه .

فيصح قول القائل شعراً(٢) :

---

(١) سورة المائدة، الآية : ١١٦ .

(٢) في حاشية المخطوطة «ن-ب» : «القائل هو صاحب منازل السائرين، وهو جزء من ثلاثة أبيات على ما في النفحات، وتلخيص الكلام على ما يناسب المقام أنه قال : صاحب نفحات الأنس، وفي الفصل الثاني من الباب الأول من ترجمة العوارف للتوحيد مراتب أربع؛ **الأول** : إيماني؛ وهو إقرار العبد باللسان، وتصديقه وإذعانه بالجنان، تفرد الواجب تعالى بالألوهية، وتوحده في استحقاق العبودية، على مقتضى الإشارات القرآنية، والأخبار المعصومية .

الثاني : علميّ يقيني؛ وهو علمه بنحو اليقين، بأنه لا موجود على الحقيقة، ولا مؤثر على الاطلاق إلَّا الله الواحد الغفار القهار، وأنه لا وجود لغيره إلَّا ←...

توحيده إياه توحيده

فهو الواحد الموحد لنفسه

تعالت واحديته سبحانه

عن التوحيد بالتوحيد في قدسه

...←

بالاعتبار، وأن جميع ما سواه من الذوات والصفات والأفعال، تكون كالذرات بالنسبة إلى الشمس في ضوء النهار .

الثالث : حالي؛ وهو تصيير العبد الموحد التوحيد وصفاً لازماً لذاته، وكون نور التوحيد مستتراً مندرجاً في حاله على نحو اندراج نور جميع الكواكب في نور الشمس، كما قال ... : فلما استبان الصبح أدرج ضوءه بأشفار أضواء نور الكواكب، ومن هنا قول من قال : التوحيد معنى يضمحل في الرسوم، ويندرج فيه العلوم، ويكون الله ﷻ كما لم يزل، وقول من قال : التوحيد غريم لا يقضى دينه، وغريب لا يؤدى حقه .

الرابع : توحيد إلهي؛ وهو كون الله سبحانه وتعالى في الأزل بنفسه، موصوفاً بالوحدانية، ومنعوتاً بالفردانية، كان الله ولم يكن معه شيء، والآن كما كان ويكون أبد الآبدين كما كان، وقال : ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ . [سورة القصص، الآية : ٨٨]، ولم يقل : يهلك بلفظ المضارع، ليعلم أن وجود جميع الأشياء في جنب وجوده سبحانه، هالك في جميع الأزمنة، وتخصيص الهلاكة بالأزمنة المستقبلية، شأن المحجوبين المستورين بالغشاوة، ولا أرباب البصيرة، وأصحاب المشاهدة، فإن تلك الوعدة في حقهم موجودة، وقد ختم حضرة شيخ الإسلام التوحيد الإلهي بهذه الأبيات الثلاثة» . [منه قدس سره] .

ما أفــرد الواحــد ذو تفريــد إلَّــا وقــد
أشــرك في التوحيــد والواحــد الفــرد
فمستغن عن التوحيد والتفريــد والتجريــد
توحيده منك لاثنيية فتمالى الفرد عن التفريد
إن وحـــد الواحــد ذأتـــه فمـــا
ذاك بمغـــــن لي ولا مفيــــــد
وإن أقــل يومــاً بتوحيــدي لــــه
أشــركت في توحيــده بوجــودي[١]
وإنـــي مكلـــف توحيــــده
فكيـــف قـــل لي بلغـــة المقـــصود
مـــا ذاك إلَّـــا إنـــه عـــين[٢] بـــلا شــرك
وعـــين ســـائر الوجـــود
فالواحـــد الفـــرد أنـــا وهـــو كـــذا
وحــــدتنا لا وحــــدة التعديــــد
بـــل وحـــدة في وحـــدة أحديـــة
قـــد نزهـــت عـــن كثـــرة ومزيـــد
لا عـــن وجـــود ســـابق أو حـــادث
كـــلا ولا عـــن منظـــر وشـــهود

---

(١) توحيدي في «ن–ج» .

(٢) عيني في «ن–ب» .

بـــــل حالـــــة أزليـــــة كانـــــت لنـــــا

شـــــأناً بـــــلا علـــــل ولا تقييـــــد

أقول : اعلم أنه أراد بمن أفناه التوحيد عن توحيده؛ مقام الفناء المطلق في الخلق، فإنه إذا فنى في التوحيد لم يصح منــه التوحيــد[(١)] بالرسم؛ لأنه ذاته، والرسم صفة من صفاته، فالتوحيد بالرسم تفريــد وتمييز عن الموحّد -اسم مفعول- وهو اثنينية، فإذا أثبت له وجود غير وجوده -جل شأنه- لم يكن موحداً .

فحقيقة التوحيد فناء كثرة الموحد، بل فنــاء ذاتــه في الــذات الأحدية، فيكون قد بقي بالحق بعد الفناء على أنه عين الباقي، وقــد أشرت مراراً إلى أن هذا لا يصح بالنسبة إلى الذات البحت؛ لأنه غيب لا ينال ولا يدرك بحال، فلا تحله الحوادث والصفات، ولا يحلها، ولا تعرض له، ولا يصح عليه التكليف والتلون والتأين، ولا التبعض، ولا تدركه الإشارة، ولا تحده العبارة، (**إنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها**)، كما قال عليه السلام[(٢)]، وليس بكل ولا جزء، ولا جوهر ولا عرض، ولا بذي تلون؛ لأنها صفات حدوث لا تقع إلّــا على الحدث، فالــذات هو هو لا من شيء كان فيلزمــه الاســتناد،

---

(١) لم يصح منه التوحيد غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) نهج البلاغة، ص٣٧٩، خطبة : ١٨٤ . الاحتجاج، ج١، ص٢٠١، احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله .

ولا[١] لشيء[٢] يكون فيحتاج إلى الاعتماد، ولا إلى شيء يصير فيلحقه النفاد، ولم يخرج منه شيء فيرجع إليه وإلّا لتبعض، فيلزمه التغير في ذاته، وهو إذاً موجب للحدوث، فلا يكون قديماً، ولم يكن عنده غيره فأظهره، فيصح العود إليه وإلّا لكان مشاركاً في أزله، والأزل ذاته، محدوداً في ذاته، والحد يخرجه عن قدمه، بل كل ذلك صفات حدث لا تحل القدم، ولا يتصف بها، بل هي أثر فعله، وليس هو الأشياء؛ لأنها بمشيئته وإنشائه كانت أشياء، قال عليه السلام : **(إذ كان الشيء من مشيئته)**[٣]، أبطل الإختراع كونها في الأزل، والإبتداع عينها في القدم، وليس بحال فيها فتقيمه، ولا بحالة فيه فتقومه وتميزه، ولا بائن عنها بانفصال فتحده بينونتها، ويميزه انفصالها، بل بائن عنها بينونة صفة لا بينونة عزلة .

فالذات متعال عن كل وصف واسم، وحدٍّ ورسم، فهو المجهول المطلق، والمعلوم الحق، فحقيقة الإدراك عند المدرك إثبات ما لم يدرك بالكنه، بل بالصفات والآثار، فكل الخلق صائرون إلى حكمه، راجعون إلى أمره، على حسب اختلاف مقاماتهم، بل وأمر الله متعال عن الإدراك لكل مدرك، فمن ادعى الرجوع إلى حقيقة أمر الله،

---

(١) ولا غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) بشيء في «ن-ج» .

(٣) تفسير الأصفي، ج٢، ص١١٢٣ .

والفناء المطلق، غير صاحب البرزخية الكبرى، فقد ألحد في أسمائه جل شأنه .

واعلم أن مقام الجامعية واحد، لا تعدد فيه ولا تكثر، وله مظاهر هم هياكل التوحيد، والمقامات التي لا تعطيل لها في كل مكان، وهي التي أشار إليها[١] الحجة عليه السلام في دعاء رجب، بقوله : (**لا فرق بينك وبينها إلّا إنهم عبادك وخلقك**)[٢]، وقال الصادق عليه السلام : (**إن لنا مع الله حالات، هو فيها نحن، ونحن فيها هو، وهو هو، ونحن نحن**)، فمن خرج عن الباب تاهت به البيداء، وضلت به الأهواء، بلا مصباح يستضيء به، كما قال علي عليه السلام : (**ذهب الناس إلى عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض -لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**[٣]**- وذهب من ذهب إلينا، إلى عين صافية، تجري بأمر ربها**)[٤]، ولهذا تراهم تارة يدعون الفناء في

---

(١) إليه في «ن-ج» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٤) من هذا الكتاب .

(٣) في هامش المخطوطة : «قوله : لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق، من حديث آخر، أوله : (**العلماء ثلاثة؛ عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**)، ولكني حال التأليف لم أراجع، فكتبته كما في الأصل توهماً» . [منه قدس سره] .

(٤) أصول الكافي، ج١، ص٢٠٦، ح٩، باب : معرفة الإمام والرد إليه . بحار ...←

الذات والاتحاد فيكفرون، وتارة يدعون مقام الجامعية فيلحدون، ﴿قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1] .

قوله : «فيصح قول القائل : توحيده إياه توحيده ...إلخ»، استشهاد لما أراد، وأنا أذكر مراداهم، ويكفي في إبطال معتقداهم ما قدمته وما يأتي إن شاء الله تعالى، لمن كان له قلب باتباعه مصباحاً من الولاية، أو ألقى السمع وهو شهيد بضياء أنوار النبوة، ففي كتاب الله وسنة نبيه وأوليائه «صلى الله عليه وعليهم» هداية للطالبين، وتبصرة للمتقين .

واعلم أنه أراد بقوله : «توحيده إياه توحيده»؛ أن توحيده حقيقة هو نفس توحّده، فهو الموحِّد والموحَّد، فالموحِّد نفس الموحَّد، وهو معنى قوله : «تعالت واحديته سبحانه عن التوحيد بالتوحيد»، فإنه لو كان توحيده بتوحيد غيره لاحتاج إلى موحِّد، فتكون كثرة تنافي حقيقة الوحدة، فيكون موحِّد وموحَّد وتوحيد .

فحقيقة التوحيد إذاً هو فناء الكثرة في الوحدة فناء حقيقياً، فيتحد بالوحدة وتكون عينها، فلا كثرة لأن الصفة عين الموصوف؛ لأن الموصوف يتلون ويتكثر، فتكثره عين وحدته، قال شاعرهم :

→...

الأنوار، ج٢٤، ص٢٥٣، ح١٤، باب : ٦٢، باختلاف كلمة «بأمر ربها، بأمور» .

(١) سورة الأنعام، الآية : ٩١ .

شـــهدت نفـــسك فينـــا وهـــي واحـــدة
كـــــثيرة ذات أوصـــــاف وأسمـــــاء
ونحـــن فيـــك رأينـــا بعـــد كثرتنـــا
عينـــاً بهـــا اتحـــد المرئـــي والرائـــي

وقوله : «ما أفرد الواحد ذو تفريد ...إلخ»؛ يريد أنه إذا أفرده فقد ميزه وحده، وجعل عينه غيره، فيكون قد أشرك معه في الوجود غيره، وهو معنى قوله : «توحيده منك لا اثنينيــة ...إلخ»؛ يعــني إذا وحدته بتوحيد غيره، وكنت موحَّداً وهو موحِّد، فقد أثبت اثنينيتـــه، وهو متنـــزه عن الاثنينية، وأما الذي قبل هذا البيت فظاهر .

قوله : «إن وحَّد الواحد ذاته ...إلخ»، يريد أنه إذا وحّد نفسه ووصفها بالوحدانية، فذاك حقيقة التوحيد، وهو توحيد لنفسه، لكنه غير كافٍ لي ولا مفيد، بل لا بد من توحيدي له، فإن وحَّدته وأنـــا مثبت لي وجوداً غيره، فقد أشركت بوجودي وتحققي في توحيـــده، فلم أكن موحداً، مع أني مكلف بالتوحيد، فكيف يمكن ذلك التوحيد مني، إن لم أكن أنا هو وهو أنا، فتكليفي بالتوحيد دليل كوني عـــين الموحَّد، فيصح مني التوحيد، وإن لم أكن عينه لم يصح مني التوحيد، ولا يصح أن يكلفني بالتوحيد الذي هو نفسه؛ لأني لـــست نفـــسه، فيجب[1] حينئذٍ أن أكون عينه، وهو المراد بقوله :

---

(١) فيجب غير موجودة في «ن-ب» .

مــــا ذاك إلَّـــا أنــــه عـــيني بـــلا شـــرك

وعـــــــين ســـــــائر الوجــــــــود

فالواحــــد الفـــرد أنـــا وهـــو كــــذا

...إلخ

يعني أنه ليست الوحدة العددية لاستلزامها الكثرة، بل الوحــدة الحقيقية الأحدية التي لا كثرة فيها ولا زيادة عليها، وإنما هي تتلون بما منها لا بشيء زائد عليها، ولا خارج عنها، وإنما الخلــق كــالثلج في الماء، كما قال :

ومــا الخلــق في التمثـــال إلَّـــا كثلجـــة

وأنـــت لهـــا المـــاء الـــذي هـــو نـــابع

ولكـــن بـــذوب الـــثلج يرفـــع حكمـــه

ويوضـــع حكـــم المـــاء والأمـــر واقـــع

وكالموج في البحر فإذا جمد الماء كان ثلجـــاً، وإذا ذاب الـــثلج كان ماء، وكذا الموج في البحر، فإنه إذا تحرك البحر كان موجاً، وإذا سكن الموج كان بحراً، كما قال :

كـــالموج حكمهـــم في بحـــر وحدتـــه

والمـــوج في كثـــرة بـــالبحر متحـــد

فـــإن تحـــرك فـــالأمواج أجمعـــه

وإن تـــسكن لا مـــوج ولا عـــدد

فلم يسبق لنا وجود زائد على وجودنا، ولم يحدث فينا، بل ذلك

حالة أزلية قديمة لنا، حالاً وشأناً وذاتاً بلا علة، وإلّا لتعددت العلل في الأزل، ولا قيد[١] لأن القيود بأسرها حادثة، لا تحل القدم، فلو لم يكن كذلك لتحققت الاثنينية، هذا مراده .

اعلم أن الاثنينية إنما تتحقق بين الشيئين المتخالفين بالذات، والصفة ليست مخالفة للموصوف؛ لأن في الموصوف جهة اقتضاء للصفة، وإن كانت ليس حقيقته، والمخالفة جهة امتناع، فلو كانت الصفة مخالفة للموصف لم تكن الصفة صفة، إذ جهة الاقتضاء لا تكون جهة امتناع، والصفة ليس لها إلّا جهة هي جهة الوصفية، لأنها لا وجود لها من نفسها ولا تحقق، فلا تكون إذن مخالفة له، فتكون باينة متميزة بعزلة، فيحده تميزها، بل بينونتها بينونة صفة، كما قال علي بن أبي طالب[٢] عليه السلام : (**بائن من خلقه بينونة صفة لا بينونة عزلة**)[٣]، فهو ينفيها ويعينها بظهوره لها بها، لا باتحاد ولا امتزاج؛ لاستحالة كون الصفة عين الموصوف من حيث هي صفة، وإلّا لم تكن صفة .

وقولي : من حيث هي صفة، لا لإخراج حيثية أخرى، أنها ليست لها حيثية أخرى[٤]، وإنما أردت التنبيه على لزوم هذه الحيثية

---

(١) ولا قبل في «ن-ج» .

(٢) بن أبي طالب غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) تقدم تخريجه في الصفة رقم (٢٢) من هذا الكتاب .

(٤) أنها ليست لها حيثية أخرى غير موجودة في «ن-ب» .

لها، وليست أيضاً عينية، وإلّا لم تكن غيره ولو باعتبار ما، إذ العينية في البسيط الذات الحق، تنفي الغيرية بكل اعتبار، وإلّا لانتفت البساطة الذاتية الحقيقة[1]، نعم الوحدة سارية في الأشياء سريان قيومية، فهي ظاهرة في كل شيء، فتلك الوحدة صفة الواحد الأحد -جل شأنه- لا ذاته .

ففناء الصفة في الموصوف غيبتها عن نفسها، وترك إنيتها [وشهودها، وعدم تحققها لها، فنظرها للموصوف بها من جهته، فتعرف ربها بما تعرف لها به، الذي هو تحققها به لا تحققها من نفسها][2]، إذ لا تحقق لها في نفسها من حيث نفسها[3]، فإذا أفرد الموحِّد نفسه، وأثبت له استقلالاً لم يكن موحِّداً، وإن قال : لا إله إلّا الله، بل هو حقيقة الاشتراك الوجودي، وإذ كان نافياً للاشتراك في العبادة .

وأما الفناء في الذات، وكون الذات عين الصفات فمحال، بل ليس بشيء كما سبقت الإشارة إليه .

---

(١) الحقية في «ن-ب» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) من حيث نفسها غير موجود في «ن-ج» .

[الجوهر الأول]
[في الموحِّد]

قوله : «الجوهر الأول : اعلم -وفقنا الله وإياك- أن الموحِّد من كان توحيده لا عن علة ولا سبب ولا واسطة، بل الموحد من التوحيد شأنه فعلاً وحالاً، وعلماً ومقالاً، غير مقيد بمشهد دون مشهده، ولا مخصص بمنظر، أو اسم أو صفة أو نعت، بل توحيده لوحدة الشيء، لشيئيته التي يستحيل فيها التعدد، فافهم» .

أقول : اعلم أن التوحيد له مراتب يختلف الموحدون باختلاف مراتبه، فالموحِّد في الحقيقة[1] من كان التوحيد شأنه؛ بمعنى أنه تنطوي كثرته من ذاتياته ولوازمه، ونسبه في وحدته، فيشهد كل شيء في كل شيء بلا اختلاف، ﴿**مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ**﴾[2]، فلا يشهد غيره، فتنطوي الكثرة في وحدته، فلا يرى إلَّا نفسه بربه، إذ الأحوال كلها أحواله، وتنطوي وحدته في الوحدة التي هي أصل الوحدات[3]، ويفنى عن نفسه فلا يشهد عينه، وإلى المقامين أشار

(١) وبالحقيقة في «ن-ب» .

(٢) سورة الرحمان، الآية : ٣ .

(٣) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «وقولي : الوحدة التي هي أصل الوحدات، أريد بها صفة الحق الفعلية؛ لأن ذاته لا تكون أصلاً لشيء، ولا يعبر عنها بشيء .

←...

الشاعر بقوله :

كـــل شـــيء فيـــه معـــنى كـــل شـــيء

فــــتفطن واصــــرف الــــذهن إليّ

كثـــــرة لا تتنـــــاهى عــــــدداً

قــــد طوتهــــا وحــــدة الواحــــد طـــي

وتنطوي وحدته في الوحدة الحقيقية، بعد انطــواء الكثـــرة في وحدته، فيوحد التوحيد الحقيقي بمشاهدة الحق بالحق، فلا يبصر[١] ما سواه، ولا اعتبار له من نفسه، فهذا أمر صاحب هذه المرتبة صلى الله عليه وآله[٢] .

فيكون التوحيد شأنه فعلاً وحالاً ومقالاً وعلماً، قال الله تعالى : **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى﴾**[٣] .

وفي الحديث : **(ما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ولسانه ويده، فبي يسمع وبي يبصر،**

...←

وتلك الوحدة هي التي أشار إليها عليه السلام بقوله : **(علة ما صنع صنعه، وهــو لا علة له)**، وفي دعاء علي بن الحسين عليهما السلام : **(كلهم صائرون إلى حكمك، وأمورهم آيلة إلى أمرك)**، وما مر صفة فعلية أشار إليها صلى الله عليه وآله في خطبته يــوم الغدير بقوله صلى الله عليه وآله : **(إذ كان الشيء من مشيئته)**» . [منه قدس سره] .

(١) يصير في «ن–ج» .

(٢) فهذا أمر صاحب هذه المرتبة صلى الله عليه وآله غير موجود في «ن–ج» .

(٣) سورة الأنفال، الآية : ١٧ .

وبي ينطق وبي يبطش، وبي يمشي)[١]، فذلك عند (**جذب الأحدية لصفة التوحيد**)، وهو البقاء به، (**ومحو الموهوم عند صحو المعلوم**)، كما قال عليه السلام[٢]، فحينئذٍ لا يشهد أن له فعلاً ولا علماً، ولا نطقاً ولا تحققاً، بل فعله[٣] هو فعل الله، ونطقه وعلمه وحاله، فافهم .

وأما من كان توحيده بواسطة وجوده وتحققه، ووجود الآثار فليس التوحيد شأنه، بل هو مقام الفرق، وكذا من وحده بالسبب والعلة، فليس بموحد للواحد الأحد من حيث هو أهل للتوحيد، وأنه الواحد لا بشيء، بل إنما وَحَّدَ من حيث السبب، فلم يكن موحداً للتوحيد بالتوحيد، بل وحده بتحققه ووجوده، وهو حقيقة الاشتراك الوجودي، فهو يستدل على التوحيد بتطوراته، وبالآثار الخلقية، وذلك اثنينية لا وحدة ولا توحيد، قال علي عليه السلام : (**لو عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وآله ما عبدته**)[٤]، وكذا حكم العلل والأغراض، وقد أفصح

---

(١) عوالي اللآلي، ج٤، ص١٠٣، الجملة الثانية في الأحاديث المتعلقة باختلاف في بعض الكلمات .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٨) من هذا الكتاب .

(٣) فعله غير موجودة في «ن-ج» .

(٤) قال عبد الرحمن بن قيس : في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى، وما سأل عنه -إلى أن قال- : ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسأله عن مسائل فأجابه عنها، وكان فيما سأله أن قال له : أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله عز وجل؟ .

....←

صاحب ختم الولاية عليه السلام عن العبادة المحضة للمعبود، لا لغرض المؤدية للتوحيد الحقيقي، لا لعلة ولا بواسطة، بقوله : (**ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، ولكن رأيتك أهلاً للعبادة فعبدتك**)[١] .

فملاحظة العلة والسبب والواسطة شرك خفي، وهو المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[٢] .

وأما الموحِّد فهو من عرف التوحيد بالتوحيد، فلم يشهد موحِّداً وموحَّداً، فيكون المحبوب حبيباً من دون[٣] واسطة المحبة؛ لأنها حجاب المحبوب عن المحب، فإنه إذا سكر بالمحبة اشتغل بسورها عن المحبوب،

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (**ما عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وآله، ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل حين خلقه، وأحدث فيه الحدود من طول وعرض، فعرفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة، كما ألهم الملائكة طاعته، وعرفهم نفسه بلا شبه ولا كيف**) . [التوحيد، ص٢٨٧، ح٤، باب : أنه عز وجل لا يعرف إلَّا به . نور البراهين، ج٢، ص١١٧، ح٤، باب : ٤١ . بحار الأنوار، ج٣، ص٢٧٢، ح٩، باب : ١٠] .

(١) قصص الأنبياء، ص٢٤٤ . عوالي اللآلي، ج٢، ص١١، ح١٨ . بحار الأنوار، ج٤١، ص١٤ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٦ .

(٣) حبيباً بدون واسطة في «ن-ج» .

فحجب عنه بالمحبة فلم يشهده؛ لأنها أعظم حجب الاتصال، وما أحسن ما قال فتح الله بن النخاس :

وكل اتحاد في الهوى فيه سورة
وهل يكسب المخمور الأصداعه

فإذا قطع الطالب علائق المحبة، وصحا من سكره، انكشف ذلك الحجاب، فاتحد بالمحبوب فيكون التوحيد شأنه، وهو التوحيد الوجودي .

واعلم أن ما عبرت عنه بالاتحاد والفناء، فهو صفة من الصفات، لتنزه الذات عن الحلول والاتحاد[١]، وبكل معنى، وقد أشرت إلى هذه المعاني بما فيه كفاية للمنصف المستبصر، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قوله : «العرض المفارق سألت أول البداية، وارد الوقت عن حالة وليّ من الأولياء في التوحيد، فلم أسمع جواباً غير أنه لبس حالة وجدها شأن التخصيص بذاتي، فوجدت نسبة الموجودات إلى ذاتي كنسبة شعاع الشمس إلى الشمس، فناداني الوارد مني بعد أن لبس ذلك المشهد عني، هذا هو التوحيد فلا تجب عنه سائلاً بالمقال، فإنما يصح الجواب بالحال، فعلمت أن الرجل كان من أهل حقيقة التوحيد» .

---

(١) الاتحاد والحلول في «ن-ج» .

أقول : يريد أنه سأل في أوّل البداية وهي أول المعرفة، الحاصلة بالنظر في الآثار حال تحقق الكثرة .

وارِدَ الوقت؛ أي : الفكر السليم الناشيء عن الفعل الذوقي، المعبر عنه بالشهود في حال الترقي عن الكثرة، بعد أن كان متلبساً بتلك الظلمة الغيرية، بأن الكثرة لا بد أن يكون منشؤها وأصلها واحدة، هي حقيقة تلك الكثرة، لكن لما خفيت [وحدته في كثرته، إذ كان متشاغلاً بها عنها و لم يعرف نفسه فلم يعرف ربه، وكان قد ظهر له من الآثار ما منعه نزول هذه الديار، فسأل عن حالة الوليّ الذي هو حقيقة](١) وحدته في التوحيد حين تجلى له، وأشرق بنوره عليه طالباً للفناء فيه بتلاشي كثرته في نفس وحدته، ليعرف نفسه فيعرف ربه، فيكون موحِّداً والتوحيد شأنه؛ لأنه بدون تلاشي كثرته في وحدته لا يتصل المطلوب، فلا يكون الحبيب عين المحبوب، فلم يجبه بلسان المقال؛ لأنه حجاب الاتصال، بل لبس حالة هي لسان حاله الذي هو شأن التخصيص لذاته، حين ظهر له به، وأشرق عليه نور شمسه، فكان غير محجوب بظلمة كثرته، فعرف أن تلك الكثرة ليست بشيء في جنب هذه الوحدة، بل تجلياتها فهي كشعاع الشمس بالنسبة إلى الشمس، فعند ذلك ناداه الوليّ بعد أن تجلى له واتصل به .

[وقوله] : «التوحيد»؛ يعني أن حقيقة التوحيد فناء الكثرة في

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

الوحدة فناء التوحيد، لأن لا كثرة فيَّ فانٍ مجلى نور الحق، فإن شئت أن تبقى بعد الفناء فاخلع نعليك وامش برجليك، وانظر قدامك فإن الحق أمامك، وانسب هذه النسبة إليَّ، واعلم أني أنا الفاني في وحدة الحق الباقي، فلذا كان التوحيد شأني .

وقد ورد أن نبياً من الأنبياء قال : (**يا رب كيف الوصول إليك؟** .

فأوحى الله إليه ألقي نفسك وتعال إليَّ) .

قوله : «فلا تجب عنه سائلاً بالمقال»؛ يعني أن الجواب يقتضي كثرة سائل ومسؤول، وسؤال وجواب هو حجاب بينهما، فلا يصح عنه الجواب إلَّا بالحال كما عرفت .

واعلم أن الموحِّد إذا ترك نفسه، وتلاشى في أنوار عظمة ربه، أشرق عليه باطنه الذي هو حقيقته في صورة رجل من رجال الغيب، فلا يشهد غيره، فينطق له لسان مظهره حين تجلى الحق له، بقوله : أنا المعبود ولا معبود غيري، ولقد تجلى سبحانه بصفة من صفات أسماء صفاته في الشجرة لموسى «على محمد وآله وعليه السلام»، مخاطباً له بأنه ﴿**أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾[1]، وكذلك تجلى له في الجبل في نور من حجاب العظمة، مثل سم الإبرة.

---

(١) سورة طه، الآية : ١٤ .

وفي الحديث : **(إن الكروبيين قوم من شيعتنا، من الخلق الأول، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحدٍ منهم على أهل الأرض لكفاهم .**

ثم قال : إن موسى لمّا سأل ربّه ما سأل، أمر رجُلاً من الكروبيين فتجلّى للجَبل فجعله دَكّاً)[1] .

فهذا مقام الجمع، وهو الاتحاد الصفاتي، الذي دلت عليه الآثار الوجودية، والشواهد العقلية، ونطقت به الكتب السماوية، وهو لا يحصل إلّا للخواص، ولقد نهت الشرائع عن التموجات في هذه العبادات؛ لكثرة المدعين، وقلة الواصلين، والمدركون ذاك قليل .

وأما الاتحاد بالذات فدعواه كفر، قد أبطله العقل والنقل، وقد أشرت إلى إبطاله مراراً فراجع ما سبق .

[مقامات الفناء]

قوله : «فصل : لا بد من الفناء عنه أولاً[2]، ثم عنك ثانياً، فبفنائك عن الموجودات تحصل في مقام الشهود، وبفنائك عنك تترقى

---

(١) السرائر، ج٣، ص٥٦٩ . تفسير الصافي، ج٢، ص٢٣٥، في تفسير الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف . بحار الأنوار، ج١٣، ص٢٢٤، ح١٨ . وفي بصائر الدرجات، ص٨٢، ح٢، نادر من الباب، باختلاف بدل «رجلاً، واحداً» .

(٢) عن الوجود في «ن-ج» .

إلى مقام الوجود، فإذا فنيت عن فنائك أبقاك به على أنك عينه، فتراك معدوماً من حيث خليقتك، موجوداً من حيث حقيقتك، فتجلى بالأسماء والصفات كما هي لذاتك بحكم الأصالة والملك لا بالتبعية، ولا بالنظر إلى حقيقة، بل نسبة الكمالات إليك كنسبة الصفات إلى الذات، ولم تزل تسائر هذا المعنى حتى تفقده، فلا تجد سواك، وحينئذٍ ينكشف لك في باطنك عن مواقع نجوم الأزل، من سماء علة العلل، بلا واسطة اسم ولا صفة ولا نسبة، بل هو وجودك بمعانيك الباطنة عن كل موجود سواك، فإذا وجدت ذلك منك لك(١) فيك فأنت الموجد الواجد».

أقول: اعلم أن الفناء له مقامات، لا يمكن الفناء في شيء من الأعلى إلَّا بعد الفناء في الأدنى والترقي عنه، إذ هو وصلة للأعلى، فإذا فنيت في الأدنى، وقللت(٢) الكثرة الظلمانية الجسمانية، والشؤون النفسية، أبقاك بك وهو فناؤنك عما سواك، فبفنائك عن الموجودات وتطوراتها، وكثرة شؤونها، تحصل في مقام الشهود، وهو مقام الفرق، فتشهد الحق واحداً في تعدد الخلق، ظاهراً في كل شيء، فلا تشهد إلَّا الواحد الباقي، فهذا هو شهود الواحد المعبود لا غيره، فلا يكون عندنك إلَّا المعبود، فإذا حصلت في هذا المقام، أمكنك حينئذٍ التلاشي

(١) منك لك غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) تلك في «ن-ج» .

والفناء عن نفسك، فتترقى إلى مقام الأعلى، وهو الفناء في المقام الأعلى بعد الفناء عن الأدنى، المعبر عنه بالوجودي، إذ بدون ذلك لا يمكن الوصول، وكل واصل على اختلاف مراتب الواصلين، بسبب تكثر مراتب الوصول، لا بد له من مقامين؛ فناء عن كثرة ليحصل له الشهود برؤية المعبود، وفناء عن ذلك الشهود، ليحصل في مقام حقيقة الوجود، فلا يرى حينئذٍ عابداً فمعبوداً، بل يضمحل عن كثرة وجوده وشهوده؛ لأنه إذا تجلى له به غاب عن نفسه، فلم يدرك له هوية قائمة بنفسه، وغاب المتجلي له به عنه حين ظهر به، فيكون ساقطاً من البين حالة السكر بلذة الاتصال، وهي حالة بين الفناء والبقاء.

ولقد جرى على لساني في الحال وارد المقال، وقلت:

لقد بدا لي حتى غبت عن وطري
وكان يظهر لي من كل أنحائي
وليس ثمة إلَّا الحق أبصره
فغاب عني فلا مرئي ولا رائي

وقلت أيضاً:

قد كنت أرجوك قبل الوصل يا أملي
حقق رجاي فقد هيجت أشواقي
حتى بدا لي سرٌّ منك أعرفه
فغبت عني فلا فانٍ ولا باقي

فهذا السكر هو المعبر عنه بالفناء المقيد بالبقاء، فإذا صحى من

سكره؛ بمعنى لم يدرك لذة الاتصال، إذ ليس هناك غيره، بقي في مقام وجوده، فهذا هو البقاء بعد الفناء، كل في مقامه بلا نهاية، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[١] .

واعلم أنه إذا بلغ الواصل إلى مقامه الأعلى، أبقاه الحق به حيث لا غيره موجود في رتبة وجوده بالنسبة إليه[٢]، ولا شاهد ومشهود بالنسبة إليه؛ [يعني إبقاه الحق به نفسه لا بالحق جل شأنه، إذ لا واسطة بين الحادث والقديم، فيتجلى بصفة من صفات أسماء صفاته الفعلية، من الصفة الذاتية العلية، من الحضرة القدسية لذلك المتجلى له، وكلها في رتبة الأفعال][٣] .

فيكون في حضرة العين بعد كونه في مقام الأين، فيتجلى له بأسمائه وصفاته، فبقاؤه بالحق عين فنائه عن نفسه، وهذا مقام الجمع لا أنه حال فنائه عنه معدوم، وحال وجوده موجود، لا يخالف وجوده وجود من بقي به، فحينئذٍ ينكشف له في باطنه عن مواقع نجوم أزله، [فأزله مسبوق بأزل من هو فوقه هذا .

وأما عند المتصوفة[٤] فلا يعنون بالأزل إلَّا ذات الحق، الذي هو

---

(١) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

(٢) في رتبة وجوده بالنسبة إليه غير موجودة في «ن–ج» .

(٣) ما بين المعقفتين غير موجود في «ن–ج» .

(٤) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٧) من هذا الكتاب.

أزل الأزال تعالى الله، وكل عباراتهم تشير إلى ذلك، نعوذ بالله من الجهل والضلال][(١)] .

فيتصف بصفاته الذاتية، وأسمائه القدسية، من الحضرة العَليَة، بواسطة التجلي ومظاهر المتجلي .

وأما الاتصاف بالصفات الإلهية الكلية، والتجلي بالأسماء القدسية العلية، فتلك لله الواحد القهار، قال تعالى : **﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾**[(٢)]، فافهم الإشارة من طي العبارة .

وكل مدع الوصول فليس له محصول، بل إنما **﴿يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾**[(٣)]، وكثيراً ما يأتون بما يشابه كلام آل محمد صلى الله عليه وآله، قصداً للتشابه لو نشاء لقلنا مثل هذا؛ ولكن لا **﴿يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[(٤)]، وكلها دعاوي، والواصلون قليل، فإن أصحاب النفوس القدسية كالأنبياء والرسل عليهم السلام، لم يدعوا مثل هذه الدعاوي، وإن حصل لهم الفناء في بعض المقامات، أما تسمع قول عيسى «على محمد وآله

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) سورة الإسراء، الآية : ١١٠ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٧١ .

(٤) سورة الزمر، الآية : ٩ .

وعليه السلام» حين قال له الله سبحانه قال الله : يا عيسى بن مـــريم ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـــهَيْنِ مِن دُونِ اللّـــهِ قَـــالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَـــلاَّمُ الْغُيُوبِ ۞ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُـــدُواْ اللّـــهَ رَبِّـــي وَرَبَّكُمْ﴾[١]، فأقر بالعجز، وتنصل –[بالصاد بالمهملة بعد النـــون– أي: اعتذار مقراً بالعجز][٢]، فعبد الله حق عبادته .

فكل من ادعى فوق مقامه لم يعبد الله بل إنما يعبد نفسه، ويحوم حولها، نعم تكلم به صاحب الولاية المطلقة، وقد ذكر هـــذا المعـــنى مشيراً إليه الشيخ في الفص الشيثي، حيث قال : «وليس هذا الإطلاع إلّا لخاتم الرسول وخاتم والأولياء، ولا يراه أحد من الأنبياء والرســـل، إلّا من مشكاة الرسول الختم، ولا يراه أحد من الأولياء إلّا من مشكاة الولي الختم، حتى أن الرسل لا يرونه، متى رأوه إلّا من مشكاة خـــاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة ينقطعان، والولايـــة لا تنقطـــع أبـــداً، فالمرسلون من حيث كونهم أولياء لا يرون [ما ذكرنا، إلّا من مشكاة خاتم الأولياء][٣]، فكيف من دونهم من الأولياء» .

---

(١) سورة المائدة، الآيتان : ١١٦–١١٧ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

فكل ما سواه ففناءه فيما هو فانٍ فيه، في صفة من فوق مقامه، فليس يحصل في مقام الجمع المطلق، فكلٌ الأنبياء والرسل إنما يتجلى لهم الحق في صفة من صفات أسماء صفاته .

وأما تجليه بصفة نفسه؛ [أي : الفعلية، لأني ذكرتها مراراً، وأذكر فيما بعد أن كل ما يذكر من وصف ورسم واسم، فإنما هو من صفات الأفعال، وأما الذات فلا تكثر فيها، ولا جهة ولا حيث وحيث، ولا نسبة إليها بوجه](١)، فهو تجلي(٢) واحد لا يتكثر، وهو مجلى الجامعية لصاحب اللواء الأكبر، قال ﷺ : (**آدم ومن دونه تحت لوائي**)(٣)، (**وكنت نبياً وآدم بين الماء والطين**)(٤)، فافهم .

[بحث في الحقائق الإلهية]

قوله : «درة يتيمة في لجة عظيمة، للتحقق بالحقائق الإلهية، حكمة لا يعرفها إلّا المختصون(٥)، فمن وجد الكمالات فيه، ولم

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) مجلى في «ن-ب» .

(٣) الخرائج والجرائح، ج٢، ص٨٧٦، باب : ١٧ . مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٨٣، فصل : في اللطائف . عوالي اللآلي، ج٤، ص١٢١، ح١٩٨ .

(٤) مناقب آل أبي طالب، ج١، ٢١٤ . عوالي اللآلي، ج٤، ص١٢١، ح٢٠٠ . جواهر الفقه، ص٢٤٨ . كشف الخفاء، ج٢، ص١٢٩ . سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج١، ص٨٠ .

(٥) المحققون في «ن-ب» .

يظفر بتلك الحكمة، لم يقدر على إظهار شيء من أثر تلك الكمالات، فإذا عثرت على كيفية التجلي من الحق بصفاته، انفتح لك باب إلى تلك الحكمة من حيث الذوق، وحينئذٍ تعرف معنى قول سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره[1]، حيث يقول : كل الأولياء وصلوا إلى القدير[2] فوجدوه رتقاً فوقفوا، إلّا أنا فتحت لي فيه دوزنة فولجت فيها، فدافعت القدر بالقدر» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن التحقق بالحقائق الإلهية، هو التجلبب بجلباب المعارف، والتعري من ملابس الجهل، ودعوى الإنية، التي هي منشأ الكثرة، المعبر عنها بالحجب الظلمانية، التي أشار إليها بقوله عليه السلام : (**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة، لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه**)[3].

فالمعارف هي تلك الحجب النورانية، وهي صلة الانفصال، وحجب الاتصال، فإذا تخلق العبد بالأخلاق الكمالية النفسية، بعد أن أخلص لله العبودية البدنية، وهذب نفسه من الرذائل الخلقية، وأدبها بالآداب الشرعية، ومنعها من الشهوات، وقطعها عن شوب العلائق

---

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (١٨) من هذا الكتاب .

(٢) القدر في «ن-ب» .

(٣) بحار الأنوار، ج٧٣، ص٣١ .

البدنية، تحقق بالحقائق الإلهية الجزئية، لا الحقائق الإلهيـــة الكليـــة[١]، المنسوبة إليه نسبة إضافية، وقام في معارج الكمال، وظهر له الحـــال، وبقي سائر إلى الله مدبياً[٢]، فإذا كان كذلك أشرقت أنوار المعرفـــة، وتحلى بحلية الوجود، وغفل عن العابد بوجود المعبود، فيعرف أنـــه لا إله إلّا الله، ولم يعبد رباً سواه، فحينئذٍ يتجلى له فيما أعطاه بصفة من صفات أسمائه، ويفنيه في تلك الصفة التي هي حقيقتـــه مـــن ذلـــك التجلي، فيعرف مزبور أموره وغابرها، ويكشف له الشيء[٣]، ويراه رؤية عيان لا رؤية إخبار، فترقى من علم اليقين إلى عين اليقين، هذا فيما سوى الكامل المطلق .

وأما الكامل الحق[٤] فهو الله سبحانه، فإن مقامه حق الـــيقين، لأنها مرتبة الجامع، ولذا لم يذكر سبحانه مقام حق اليقين في كتابـــه للواصلين، فمرتبة جامع المراتب درجة صاحب المواهب، لأن عـــين اليقين رؤية الحق بالحقيقة .

وأما حق اليقين فرؤية الحق بالحق، وتلك لا تتكثر مظاهرهـــا، وإلّا لم تكن رؤية الحق بالحق لوحدة الحق، وتنـــزهه عن الخلق، فقام

---

(١) الجزئية لا الحقائق الإلهية الكلية غير موجود في «ن-ج» .

(٢) هكذا في المخطوطتين .

(٣) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «الشيء هو أثر المشيئة، وهو حقيقة المشاء»، [منه قدس سره] .

(٤) الكمال المطلق في «ن-ج» .

حق اليقين هو الدنو من الخالق بلا إشارة ولا كيف، وهذا المقام مقام العبد الذي تحققت له العبودية بجميع أنحائها، الذي عناه عليه السلام حين سأل عن العبد، فقال: (**العين علمه بالله، والباء بونه عن الخلق، والدال دنوه من الخالق بلا إشارة ولا كيف**)[1].

فعلمه بالله هي المعرفة، المعبر عنها بعلم اليقين، والبينونة عن الخلق هي مشاهدة الحق في كل شيء لا بشيء، وهذه المشاهدة هي المعبر عنها بعين اليقين.

والدنو هو الاتصال مع فقد كل وصلة حتى نفسه، فلا يشهد إلَّا ربه إذ لا شيء سواه، وهذا الدنو المعبر عنه بحق اليقين.

واعلم أن من قطع علائق نفسه، وحصل في مقام شهوده، انفعلت له الأشياء بالله انفعال أثر، فالله الفاعل به ما يشاء، فتحقق منه أثر الكمالات لظهورها عليه، وقد جاء في الحديث القدسي: (**ما وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبد المؤمن**)[2]؛ يعني أنه المتحمل أثر جميع الفيوضات الصادرة منه تعالى، فيكون هو الفاعل لظهور أثر الفعل عليه، ولذا أضافه إلى نفسه، ونسبه إليه نسبة اختصاص لا نسبة ملك؛ لتساوي المؤمن والكافر في هذه النسبة دون

---

(١) مصباح الشريعة، ص٨، باب: ٢. تفسير نور الثقلين، ج١، ص٤٣، ح٥٦.

(٢) عوالي اللآلي، ج٤، ص٧، ح٧. كشف الخفاء، ج٢، ص٩٩.

الأولى، إذ نسبة الاختصاص تقتضي كون العبد متصفاً بالعبادة التي هي فعل ما يرضى، وبالعبودية التي هي رضا ما يفعل .

فكل من لم يتصف بالعبودية فليس في الحقيقة عبداً لله؛ بمعنى أنه ليس عابداً له، بل عبد لنفسه، يعبدها ويحوم حولها، قد حجب بالحجب الظلمانية، لدعواه الإنية .

فإذا تحققت ما قلت ظهر لك معنى الحكمة، التي هي رأس تلك[١] الحقائق الإلهية، وعرفت معنى التجلي من أنه فناء المتجلى له في صفة المتجلي، وأنه متعدد بتعدد المظاهر؛ يعني أن تعدده إنما هو باعتبار تعدد المظاهر، لا باعتباره في نفسه، لأنه ... [٢] لا يشابه شيء منها شيئاً آخر، وإلّا لاتحد المتشابهان، أو اختلفت[٣] الجهتان في المتشابهين.

وإن المتجلي لا يتجلى بشيئين من جهتين، وإلّا لحصل[٤] في الجهتين، بل يتجلى بجهة واحدة، هي جهة الإحاطة التي هي القيومية، فوجب أن تكون الأشياء كلها متناسبة مترتبة، يستمد الأدنى الفيض من الحق بواسطة الأعلى؛ لعدم قابلية الأدنى الاستمداد بلا واسطة الأعلى، فالنقص حينئذٍ في القابل لا في الفاعل، فاقتضت الحكمة

---

(١) تلك غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) كلمة غير واضحة في كلا المخطوطتين .

(٣) اختفت في «ن-ج» .

(٤) تحصل في «ن-ج» .

إجراء الأشياء على حسب قابلياتها، فلو لم يستمد الأدنى من الأعلى لما كانت كلها أعلى، فيجب أن تكون كلها شيئاً واحداً لا متكثراً .

فتكثر التجلي باعتبار تقابل المتجلى له، وأما باعتبار المتجلي فالمتجلي شيء واحد، هو نفس ظهوره في المرآة الكلية، فكل صفة من الصفات يتجلى لها في الصفة التي فوقها بذلك التجلي، فتفنى فيها لا غيرها، وهكذا إلى الصفة العليا، المعبر عنها بقوله : ﴿**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ**﴾(١)، فيجب أن يكون مظهراً واحداً، وهو الذي أخبر عنه بقوله : (**لولاك ما خلقت الأفلاك**)(٢)، وقال سبحانه : (**خلقتك لأجلي، وخلقت الخلق لأجلك**)(٣)، (**ظاهرك للفناء، وباطنك أنا**)(٤).

وقد أخبر عنه على لسانه في كتابه العزيز بقوله : ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ...**﴾(٥)، فهو السرج المنير، الذي استضاء به كل شيء، كما قال تعالى : ﴿**وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾(٦)، فكل يستنير بضوء السراج،

---

(١) سورة النحل، الآية : ٦٠ .

(٢) بحار الأنوار، ج١٥، ص٢٨ . كشف الخفاء، ج٢، ص١٦٤، ح٢١٢٣ .

(٣) الجواهر السنية، ص٣٦٣ . علم اليقين، ج١، ص٣٨١ .

(٤) الجواهر السنية، ص٩٥ .

(٥) سورة النور، الآية : ٣٥ .

(٦) سورة الأحزاب، الآية : ٤٦ .

ويهدي بإذن الله؛ لأنه الجامع الكامل، وما سواه ناقص غير واصل، وإن ادعى الوصول فهو جاهل، وإلى جمعه للمراتب الثلاث؛ الشريعة والطريقة والحقيقة، المعبر عنها بعلم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين، بل كل المراتب الخلقية والحقّية التي آخرها الفقر الحقيقي، أشار صلى الله عليه وآله بقوله : (**الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتوكل زادي، والقناعة كنزي، والصدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري، وبه افتخر على سائر الأنبياء والمرسلين**)[1] .

وقوله : «من حيث الذوق» أراد به الكشف، وهو المشاهدة بالفؤاد الذي هو دليل الحكمة[2]، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[3] .

قوله : «وحينئذٍ تعرف قول سيدي –إلى قوله– : فدافعت القدر

---

(١) عوالي اللآلي، ج٤، ص١٢٤، ح٢١٢ . مستدرك الوسائل، ج١١، ص١٧٣، ح٨، باب : ٤ استحباب ملازمة الصفات الحميدة واستعمالها وذكر نبذة منها .

(٢) **دليل الحكمة هو** : «الدليل الذوقي العياني، الذي تلزم منه الضرورة والبداهة»، **ومستنده** : «الفؤاد والنقل»، **وشرطه** : «إنصاف ربك» . [شرح الفوائد، ص٧، «حجري»] .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

بالقدر»، يريد أنه لما تحلى وتحقق بالحقائق الإلهية، ظهرت له الحكمة، وهي الاتصاف بصفات الربوبية، وظهورها عليه، فلم يرد له أمر، بل تنفعل له الأشياء، ولا يحجب عنه سر من أسرار الأكوان وذلك بالتجلي .

وأما التحقق بالكمالات والتحلي بها، هو وجود العبد صفات الربوبية لنفسه وإن لم يظهر أثرها عليه .

فالمتصف بالصفات الإلهية، يظفر بالحكمة بالتجلي له من الحق، [إذ الاتصاف بها نسبتها إليه وله، فأمكنه إظهار أثر الكمالات، وتصرف في الأشياء، فدافع القدر بالقدر(١)، لأن القدر تفصيل لحكم القضاء](٢) الذي هو الحكم الإلهي في أعيان الموجودات، وذلك التفصيل مصمت لا أثر لأحد فيه، ولا مدخل له، ولا تصرف إلَّا من جذبه نور الأحدية من الأين إلى حضرة العين، ومقام المحبة، فإنه يفعل بالله، ويتصرف تصرف المالك في مملكته؛ لأنه بعد ما أطاع الله انفعلت له الأشياء، وقد جاء في الحديث القدسي : **(يا عبدي أطعني تكن مثلي، أقول للشيء كن فيكون، وتقول للشيء كن فيكون)** .

---

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «هذا عند المتصوفة، أما عند أهل العصمة عليهم السلام، فرتبة القدر سابقة لرتبة القضاء؛ لأن القدر هو الهندسة، والقضاء هو إتمام المقدر» . [منه قدس سره] .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

وقوله : «وقفوا»؛ أي : لم يمكنهم الولوج؛ لأنهم وإن تحلو بالحقائق الإلهية، وأشرقت على بواطنهم، لكنهم لم يتصفوا بها؛ بحيث ظهرت على ظواهرهم، حيث لم يحصل لهم التجلي الكامل، وكثيراً ما يدعي مثل هذه الدعاوي، كما نقل عنه في الإنسان الكامل، أنه قال : «يا معشر الأنبياء أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوه»، وكذا نقل عن أبي المغيث أنه قال : «خضنا بحراً وقفت الأنبياء بساحله»، وهذا هو الإلحاد الباطن، أعوذ بوجه الله الكريم من مضلات الفتن .

[كمالات الذات المقدسة]

قوله : «الكنز الخفي يا هذا أما علمت أن الحق له كمالات لا يعرفها غيره، وأن تجليه الذاتي لا يسعه الوجود بأسره، فلا يظهر بكماله إلّا لذاته وفي علمه، فلم يطق الوجود كمال ظهوره بالكنه والذات، بل ولا بكمال الأسماء والصفات، فلم أنت تحب منك ظهور كلما تجده فيك، وذلك محال لضيق الكون عن ذلك، فإياك ثم إياك أن تطلب ما لا يمكن، فإنه غير لائق بك، وتحت هذا الكلام سر جليل، لو وقفت عليه لعرفت الأمر الذي لا تسعه العبارة، ولا تحتمله الإشارة، ولكن قد انجلى عليك باطنك بكل معنى من معاني الكمالات الإلهية، التي تظهر في الكون، والتي تختص بالحق، فافهم .

واعلم أن الكمالات المتعينة لك فيك، منها ما يختص بك بكل معنى دون كل أحد، فكمال تجليها في عالمك لك، ومنها ما يمكن ظهورها في العالم بضرب الحكمة، ﴿وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[(١)] .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أنهم يريدون أن الذات له كل الكمالات، وأنه يستحق جميع الأسماء، والصفات الكمالية الحقيّة والخلقية بلا نهاية، إذ الكمالات يستحيل عليها التناهي، فهو يقتضيها بهويته، فتقع عليها كل العبارات، وتنالها كل الإشارات، ولكن لما لم تحط ولم يشتملها شيء لم تدرك بعبارة، ولا تفهم بمعلوم إشارة، لأن الإحاطة للذات، ولا يحيط به شيء من الصفات، قال في الإنسان الكامل : «اعلم أن ذات الله تعالى عبارة عن نفسه التي هو[(٢)] بها موجود، لأنه قائم بنفسه، وهو الشيء الذي استحق الأسماء والصفات بهويته، ويتصور بكل صورة يقتضيها منه كل معنى فيه؛ أعني إن اتصف بكل وصف يطلبه كل نعت، واستحق لوجوده كل اسم دل على مفهوم يقتضيه الكمال .

ومن جملة الكمالات عدم الانتهاء، ونفي الإدراك، فحكم أنها لا تدرك، وأنها مدركة له، لاستحالة[(٣)] الجهل عليه، ولقد قال :

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٩ .

(٢) هو غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) لاستحقاق في «ن-ب» .

أحطـــت خـــبراً جملـــة ومفـــصلاً
بجميـــع ذلـــك يـــا جميـــع صـــفاته
أم جـــل وجهـــك أن يحـــاط بكنهـــه
فأحطتـــه أن لا يحـــاط بذاتـــه
حاشـــاك مـــن غـــاي وحاشـــا أن تكـــن
بـــك جـــاهلاً ويـــلاه مـــن حيرتـــه

واعلم أن ذات الله تعالى غيب الأحدية، التي كل العبادات واقعة عليها من وجه، غير مسبوقة لمعناها من وجوه كثيرة، فهي لا تـدرك بمفهوم عبارة، ولا تفهم بمعلوم إشارة»[١] .

وقال في موضع آخر : «حكم الذات في نفسها، شمول الكليات والجزئيات، والنسب والاعتبارات بحكم بقائها، بل بحكم اضمحلالها تحت سلطان أحدية الذات، فمتى اعتبر فيها اسم أو وصف أو نعت، كان حكم المشهد لذلك المعتبر لا للذات، ولهذا قلنا : إن الذات هي الوجود المطلق، و لم نقل الوجود القديم أو غيره»[٢] .

ويريدون بتجليه الذاتي ظهوره لنفسه بكل الكمالات، وجميـع الصفات، وهي غير متناهية ولا مدركة، وإن أمكن إدراك الذات، فإن هذا التجلي لا يسعه الوجود بأسـره، فلا يظهر بكـل كمالـه إلّا لنفسه .

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٢٧ .
(٢) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٧٦ .

قال في الإنسان الكامل : «اعلم أن الصفة عند المحقق، هي التي لا تدرك وليس لها غاية، بخلاف الذات فإنه يدركها ويعلم أنها ذات الله تعالى، ولكن لا يدرك ما لصفاتها من مقتضيات الكمال»[١]، ثم قال بعد : «مثاله أن العبد إذا ترقى من المرتبة الكونية، إلى المرتبة القدسية، وكشف له عنه، علم أن ذات الله تعالى هي عين ذاته، فقد أدرك الذات وعلمها، قال رسول الله ﷺ : **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[٢]»[٣] .

ثم قال أيضاً : «فإذا ما المدركة إلَّا الذات، وما غير مدركة إلَّا الصفات؛ لأن عدم التناهي هو من صفات الذات لا من الذات، فالذات مدركة معلومة محققة، والصفات مجهولة غير متناهية، وكثير من أهل الله حجبوا لهذه المسألة، فإنهم لما كشف الله عن ذاته أنه هم، طلبوا إدراك صفاته فلم يجدوها من أنفسهم فأنكروه، فلم يجيبوه إذ ناداهم، ولم يعبدوه إذ قال لموساهم، ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾[٤]، وقالوا له : لست إلَّا المخلوق، لأنهم اعتقدوا في الحق أن تدركه ذاته، وتجهل صفاته، وكان التجلي على خلاف المعتقد، فحصل الإنكار، وظنوا أن الصفات تدرك في الذات شهوداً كما

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٣٨ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

(٣) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٣٩ .

(٤) سورة طه، الآية : ١٤ .

تدرك الذات، و لم يعلموا أن هذا ممتنع في حق المخلوق، لأنــك إنمــا ترى وتعاين ذاتك»[١] .

وإنما أوردت كلامه لتعرف مراده، فيتجه لك حينئــذٍ حقيقــة الجواب بعد معرفة المراد، **فأقول** : اعلم أن الحق -جل شأنه- كماله عين ذاته، بلا مغايرة ولا حيثية؛ لأنهما صفتا حدوث لا يقعان عليه، فلا يصح عليه الوصف، ولا الاسم من حيث الذات، وكل ما يعبر به عنه أو يطلق عليه فتعبير وتفهيم للخلق[٢]، لا لمفهوم فيه ولا عنــوان، بل إنما يصح اطلاق الأسماء والصفات من حيــث الــصفات، فهــو المجهول المطلق بذاته، الغائب المفقود، والمعلــوم بــصفاته، الحاضــر المشهود، ظهر للخلق بما تعرف لهم به، من صفاته التي هي حقائقهم، فكل إنما يدرك جهته التي منها بدأ، وإليها يعود لا يتجــاوز ذلــك، والحق سبحانه غيب لا ينال، ولا يعرف له حال، ولا كمال زائد على ذاته، وإلَّا لكان محتاجاً إليه، فيلزمه النقص، فكل كمال ينسب إليــه، أو صفة تقع عليه، فإنما هو صفات إضافية، نسبها إلى نفسه؛ لأنه خلق صفة له وهي مجمع الصفات، ومحل التعينات، فكل كمــال ينــسب إليه[٣] معبر عنه بلسان، أو يصح اطلاق العبارة عليه، أو يمكن إدراكه، فهو صفة تلك الصفة العليا .

---

(١) الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ص٣٩ .

(٢) للخلق غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) ينسب إليه غير موجودة في «ن-ب» .

وأما الذات فتعالى عن الوصف بكل اعتبار، وتنـــزه عن مجانسة الأغيار، وإلَّا لكان محدوداً مميزاً ولو باعتبار، والحد والتمييز من لوازم الحدوث، قال عليه السلام : (**كمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه**)[١]، فلا يكون موحداً من وصفه؛ لأنه قد أدركه بصفة، وصفته عين ذاته، فقد أدرك ذاته، وكل مدرك محاط به، وكل محـــاط به متناه مميز فيكون حادثاً، نعم تعرفه بصفات أفعاله، وآثاره الدالـــة على وجوده، قال علي عليه السلام : (**من وصف فقد أثبـــت، ومـــن لم يصف فقد نفى، وكلا الأمرين خطأ**)، فافهم .

وأما كمال الذات فهو الذات، والكمالات راجعـــة إلى صـــفة الذات المخلوقة، المعبر عنها بالحق المخلوق، وتلك الكمالات أيضاً لا يعلمها إلَّا هو، فلا يصح أن يقال : إن لذاته كمالات؛ لأنه الواحـــد بالذات بكل اعتبار، فإذا أطلقت عليه الصفات الذاتية، فذلك وصـــلة للأفهام، وتنـــزيه عن النقص عند الأنام، لا أنها كمالات راجعـــة إلى ذاته، إذ ليس لذاته إلَّا ذاته، ولا يصح تنـــزيه الذات بالكمـــال عـــن النقص؛ لأنه نقص الكمال المطلق، أما تسمع قول الرضا عليه السلام حين سأله عمران الصابي، هل كـــان الكائن الأول معلوماً لنفـــسه عنـــد نفسه؟ .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٢٥) من هذا الكتاب .

قال الرضا عليه السلام : (**إنّما تكون المعلمة بالشيء لنفي خلافه، وليكونَ الشيء نفسه بما نفى عنه موجوداً، ولم يكن هناك شيء يخالفه، فتدعوه الحاجة إلى نفي ذلك الشيء عن نفسه، بتحديد ما علم منها، أفهمتَ يا عمران؟**)[1] .

أراد أنه سبحانه لا يصح أن يطلق عليه اسم ولا وصف اطلاقاً، يراد منه مفهوم أو عنوان، وإنما هو هو بلا كيف، ولا تعبير ولا وصف، وإن كل اسم أو صفة اطلق عليه فتعبير وتفهيم .

قوله : «وإن بتجليه الذاتي -إلى قوله- : بكمال الأسماء والصفات» فتعبير غير صحيح المراد؛ لأنهم يريدون أن الذات يتجلى للذات بجميع كمالاتها، فإذا حصل هذا التجلي خلق الخلق من كينونة ذاته؛ لأنهم مقتضى صفاته وأسمائه، ويقولون : لقد تجلى الله[2] لذاته بذاته، فكوَّن ما كون بمقتضى ذاته وهو باطل؛ لأن التجلي ظهور، والظهور حدوث بكل اعتبار، لاقتضائه التغير ولو باعتبار، فحقيقة التجلي إنما هو للصفة بالصفة في الحدوث، بل هو عين الحدوث، نعم لو أراد بالتجلي الذاتي هو تجلي الحق للصفة بها، والتجلي الصفاتي تجلي تلك الصفة لما دونها صح، كما قال عليه السلام : (**لقد تجلى الله**

---

(١) التوحيد، ص٤١٧، ح١، باب : ٦٥ . نور البراهين، ج٢، ص٤٦٦، ح١، باب : ٦٥ . بحار الأنوار، ج١٠، ص٣١١، ح١، باب : ١٩ .

(٢) الله غير موجودة في «ن-ج» .

لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون)[١]، وقال علي عليه السلام : **(لم تحط به الأوهام، بل تجلى لها بها، وبها امتنع عنها، وإليها حاكمها)**[٢] .

فالتجلي هو ظهور[٣] المتجلي للمتجلى له به، وذلك يقتضي المغايرة ولو من حيث التجلي، وكأني بمن لا يعرف الأمر، ولم يسلك في مسلك المعرفة، يتهكم بهذا المقال، زاعماً أن تجلي الحق للحق على نحو غير ما يتجلى به للخلق، لا يدرك ذلك بالمعقول، لأن تجلي الحق في صقع أجل وأعلى .

فأقول : نعم الحق -جلّ وعلا- من أن تطلق عليه العبارة، أو تدركه الإشارة، فإذاً التعبير بالتجلي صفة حدوث وقعت على حدوث، فمن أين عرف تجلي الذات للذات، والمعرفة من سنخ الحدوث، فعلى ما قررناه ليس للذات تجلي إلّا بالصفات، وسيأتي تحقيق لذا في آخر الرسالة على سبيل الإشارة .

قوله : «فَلِمَ أنت تحب منك ظهور كلما تجده فيك، ...إلخ»؛ يريد أنك إذا عرفت أن تجلي الذات للذات، ولا يحتمله الإمكان، فلم تطلب تجلي الحق بجميع كمالاته فيك في الكون، فإن ذلك محال،

---

(١) تفسير كنز الدقائق، ج١، ص٥٥ . ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص٣١٦ .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٣) غير موجودة في «ن-ب» .

لأنك أنت هو بلا أنت، فلا تكون حقاً من حيث أنت خلق .

قوله : «انجلى عليك باطنك، ...إلخ»؛ يريد أنك مجمع شؤون المعبود، فلك الكون بأسره بحكم الأصالة والملك لا بالتبعية، لأن وجوده دائر عليك، وكلما فيه منك وراجع إليك، ولذا تسمعهم يقولون : ما تتحرك بغلة[1] في المشرق ولا في المغرب إلَّا بإذني .

قال الشبلي[2] : لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء، في ليلة ظلماء و لم أسمعها، قلت : إني مخدوع أو ممكور بي .

وقال غيره : لا أقول لم أشعر بها؛ لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلَّا بقوتي، وأنا محركها، فكيف أقول لا أشعر بها وأنا محركها .

ويقولون : ما في جبتي إلَّا الله .

وقال :

قسماً بقائم بانة أحدية
ماست على كثبان جمع صفاته
ما في الديار سواي لا بس مغفر
فأنا الحمى والحي مع فلواته

وقال أيضاً :

فإني ذاك الكل والكل مشهد
أنا المتجلي في حقيقته لا هو

---

(١) بغلة غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (٢٦) من هذا الكتاب .

وإني رب للأنـــــام وســـــيد
جميـــع الـــورى اســـم وذاتي مـــسماه

وقال :

قطعت الورى مـــن حـــسن ذاتـــك قطعـــة
ولم تـــك موصـــولاً ولا فـــصل قـــاطع
وأنـــت الـــورى حقـــاً وأنـــت إمامنـــا
وأنـــك مـــا يعلـــو ومـــا هـــو واضـــع

وهذا كله باطل؛ لأني بينت مراراً أن هـــذه مرتبـــة صـــاحب الجامعية الكبرى، وبرهنت أن الجامعية لا تكون لمظهرين مختلفين، فمن ادعاها غير صاحبها فهو مفتر جاهل، رأى سراباً فظنه ماء، ولقد نطق الحق على لسانه حيث قال : ﴿**وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا**﴾[1]، مـــن حيث لا يشعر، فإن البيوت المأمور بإتياها هو القرى الباطنـــة، الـــتي اشتملت عليها مدينة العلم، والبيوت بعدد الأبواب، وهـــي يـــد الله العليا، وكلمته الحسنى، وكلها باب أكبر، قال النبي صلى الله عليه وآله : **(أنا مدينة العلم وعلي بابها)**[2] .

فكل من لم يكن من هذه البيوت لا يتجلى له إلَّا بـــصفة مـــن

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٨٩ .

(٢) الاختصاص، ص٢٣٨ . عيون أخبار الرضـــا عليه السلام، ج٢، ص٧٢، ح٢٩٨، باب : ٣١ . الخصال، ج٢، ص٥٧٢، ح١، أبـــواب الـــسبعين . وســـائل الشيعة، ج٢٧، ص٣٤، ح١١، باب : ٥ .

صفات(١) أسمائه، هي حقيقة المتجلى له، الجامعة لجميع كمالاته، والكمالات التي له منها ما يكون ذاتياً، هي أحواله وشؤونه واختصاص ذاته بما من حيث هو هو .

ومنها ما يكون له اعتبار تعلق أطواره وأوطاره، بنسخة الاتصال وجامع الأمثال، من النسب والإضافات، وتشريك التكليف في إيجاد التصنيع، وتكليف الشرع .

فإذا تجلى لشيء من الموجودات، تجلى بكل معنى له صورة، حتى لا يبقى له شأن من شؤونه إلَّا ويظهر له فيه .

قال الشاعر :

تجلى لي المحبوب من كل وجهة
فشاهدته في كل معنى وصورة

فكل هذه جزئية مستمدة من البيوت الكلية، فلا يظهر الحق لشيء من الجزئية إلَّا بوجه من الكلية، من باب التقابل والتعاكس، كالمرايا المتقابلة، فإن كل واحد لا تنطبع فيها صورة إلَّا بما فيها، وذلك هو وجهها من العليا، وهكذا إلى أن تنتهي إلى المرآة الكلية المقابلة للشمس .

قال ابن عربي(٢) في مشاهد الأسرار حين ظهر الحق على لسانه :

---

(١) صفات غير موجودة في «ن–ج» .

(٢) **ابن عربي هو** : «محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي، المعروف بابن عربي، وابن العربي، [ولد في السابع عشر من شهر رمضان المبارك، عام :

←...

«اعلم وفقك الله أن في قولي : أشهدني الحق، وقال لي وقلت له صفة من صفات أفعاله، جردها من ملابس مناء من[1] غيوب كلماتـــه في صفة على حقيقة جوهرية ذاتها، ثم نادها في الكون، فأجابته إجابـــة صورة المرآة للناظر، أو أجابة الظل لشخصه، والفعل يثبت الوصف، والوصف[2] يستدعي الموصوف» .

فإنه جعل المخاطب له الذي هو حقيقته، هـــي[3] صـــفة مـــن صفات مرتبة الجامعيّة، وهي مقام ربوبيته، فيكون التمثيل بالصورة في المرآة، من باب التقابل والتعاكس في المرايا، لتكثرها من باب مقابلتها للوجه، وإلّا لحصلت الجامعية لكل أحد، فتعدد الجهة بتعدد إفاضـــة الوجه بتكثر المرايا، لكون جهة استعداد بعض غير جهـــة اســـتعداد الآخر بخلاف التقابل، فإن جهة استمداد الأدنى جهة استمداد الأعلى،

←...

«٥٦٠هـــ»، في مدينة «مَرْسِية»، وتوفي في الليلة الثانية والعشرين من شـــهر بيع الأول، عام : «٦٣٨هـــ»]، وهو من كبار الصوفية، له مؤلفات كـــثيرة؛ منها : الفتوحات المكية، والوصايا، وفصوص النصوص» . [راجع في ترجمته كل من : سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٨ . وروضات الجنات، ج٨، ص٤٧ . والكنى والألقاب، ج٣، ص١٦٤] .

(١) هكذا في كلا المخطوطتين .

(٢) والوصف غير موجودة في «ن–ج» .

(٣) هي غير موجود في «ن–ج» .

إذ ظهور المفيض للأدنى بما فوقه، والشواهد الآثارية، والدلائل العقلية والنقلية ناطقة بذلك، وقد أشار سبحانه بالنظر في الآثار بقوله : **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**(١)، فإن من نظر ببصيرته عرف أن شعاع الشمس متفاوت شدة وضعفاً، وقرباً وبعداً، وأن الأعلى واسطة في تجلي الشمس للأدنى، وإيصال المدد إليه، إذ لولا الأعلى لم يتحقق الأدنى؛ لعدم قابليته للأستعداد بلا واسطة وإلّا لأعطى .

وأما في المرايا فإذا قابل الوجه بواسطة أشعته مرآة انطبعت صورة الوجه في تلك المرآة، فإذا قوبلت تلك المرآة بأخرى انطبعت الأولى مع صورة تجلي الوجه فيها في الأخرى؛ يعني أن الوجه يتجلى للثانية في الأولى، بصفته التي هي وجهه وهكذا، فالصورة التي [في المرآة الأولى تقابل الوجه وتفنى فيه، والثانية تقابل الأولى وتمتد منها، فالأولى تدور على الوجه، والثانية تدور على الأولى وهكذا](٢)، فلم يتكثر المفيض ولا الفيض، وإنما التكثر في المفاض، فالوحدة التي في الوجه هي الوحدة الحقيقية لا الجنسية، أو النوعية أو التعددية، وإلّا لصح فيه اعتبار الجهة، ولا الشخصية وإلّا لانتفعت الإحاطة .

فالتعدد في المرايا من التقابل لا من المقابلة، وإلّا للزم التساوي في

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

قبول الفيض من المفيض، ولما اختلفت[١] شدة وضعفاً، وقرباً وبعداً، إذ هي معنى القبول، إذ لم يكن لها تحقق قبله، ولا وجود لها بحـال، وإنما نفس شيئيتها قبولها للفيض؛ لأنها أثره، فافهم .

ولا يذهب عليك أنه إذا قابلت الشمس مرايا متعددة، وكذا لو قابلت الوجه، فإن تلك كلها قابلة لمرتبة الجامعية من حيث المقابلـة والاقتباس، وإنما تختلف بحسب قابليتها في الكيف والكم، لا في القرب والبعد فإنها أوهام؛ لأن الفرق ظاهر بين بين الحـالين، ولا يلـزم أن يكون الممثل مطابقاً للممثل به[٢] من كل جهة فاعلم أن الوجه، وكذا الشمس إذا قابلتها المرايا المتعددة، تكون كلها متساوية إليها في القرب والظهور، فيجب أن توجد الأشياء دفعة واحدة بلا سبقية حـتى في الزمان، إذ السبقية فرع التقابل لا المقابلة .

[و]لا يقال : التأخر متوقف على الشروط والأسـباب، لأنـا نقول: إن الأسباب والشروط إنما كان فيها متأخر ومتقدم للتقابل، إذ لولاه لم يكن تأخر وتقدم[٣]؛ لعدم نقص المفيض والفـيض، فـنقص الفائض من[٤] حكم التقابل، وحكم الأسباب والشروط حكم ذوي الأسباب والشروط، بلا فرق بينهما، وأيضاً لـو لم تكـن الأشـياء

(١) خلفت في «ن–ج» .

(٢) به غير موجودة في «ن–ج» .

(٣) وتقدم غير موجودة في «ن–ج» .

(٤) عن في «ن–ج» .

بالتقابل، لوجب تعدد جهة التجلي والظهور، وهي تنافي صرف الوحدة في الواحد، التي لا حث فيها ولا حيث، بخلاف الحادث كالشمس والوجه، فإن لهما جهات تكثر، وحيثيات هي نسب الحدوث .

والتمثيل بالمرايا إبانة عن وجود القابلية، وكيفية التجلي خاصة، إذ مثال الفعل والانفعال حقيقة مثل الشمس وأشعتها المنفعلة منها[١]، فإنه يمتنع أن يوجد الجزء الثاني قبل الأول، أو معه أو بدونه، وإلّا لما كان الأول أولاً والثاني ثانياً، بل إما أن يتحد أو ينتفي الأول، فلا تعطى الأشياء ما اقتضته بحسب قابليتها، فيجب انتفاء الحكمة، فيستلزم انتفاء الكمال المطلق، فافهم .

[بحث في الصورة الإنسانية]

قوله : «الكبريت الأحمر، اعلم أن ذاتك هي المشار إليها بجميع تلك الكمالات، وعينك المسماة بجميع تلك الأسماء والصفات، فلا تتصنع ولا تستعجل، فالاستجلاب حجاب، وإلّا له شغل بغير، والرجوع إلى الأصل إهمال الفرع كل هذا[٢] دور وتضييع، والطريق أن تتجلى بما لك، إذ كل الكمال كمالك، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله : ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[٣] .

---

(١) عنها في «ن-ج» .

(٢) هذا غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) سورة الشورى، الآية : ١٥ .

وكان أبو سعيد الخراز قدس يتمثل بهذا البيت :

فأثبـــت في مـــستنقع المـــوت رجلـــه

وقـــال لهـــا مـــن دون أخمـــصك الحـــشر

فهم ذلك من فهمه، وعلم ذلك من علمه، ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَـــا إِلَّـــا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1] .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن حقيقة الإنسانية هي الهيكل الذي خلقه الله على صورة فعله، فهي هيكل التوحيد، وهي الكتاب الـــذي كتبه الله بيده، وحلاها بقدسه، وأضافها إلى نفسه، والنموذج الـــذي حوى كل الكمالات، واجتمعت[2] فيه كل المتضادات، وإليه الإشارة بقول علي عليه السلام كما في الغرر والدرر : (**إن الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهـــي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجمع صور العارفين، وهي المختص من العلوم في اللوح المحفوظ، وهي الشاهد على كل غائب، وهـــي الحجة على كل جاحد، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير، وهـــي الصراط الممدود بين الجنة والنار**) .

وقال عليه السلام : (**نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البـــشرية، وانطوى فيها العالم الأكبر**)، وهي مظهر جميع المراتب، وهـــي الـــتي

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٣٥ .

(٢) واجتمع في «ن–ب» .

تنفعل لها الأشياء؛ لأنها سر الإنشاء، والآية الكبرى التي أخبر عنها علي عليه السلام، بقوله : (**ما لله عز وجل آية هي أكبر مني**)(١) .

فالإنسان الكامل هو كامل نوع الإنسان، وما سواه فنسخة ذلك الهيكل، قال تعالى : ﴿**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ**﴾(٢)، يعني لعلي عليه السلام، ﴿**إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ [وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ]**(٣) **۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾(٤)، فكل ما سواه فكماله إضافي .

فقوله : «كل الكمالات كمالاتك، وعينك المسماة ...إلخ»، يريد على معتقده أن ذاتك هي حقيقتك، وعينك هي حقك التي أنت بها هو، فيصح اطلاق الأسماء والصفات الذاتية من حيث عينك، واطلاق الكمالات عليك من حيث أنك مظهره الذي تجلى فيه، وظهر لكل شيء به، وقد عرفت مما قدمنا فساد هذا الاعتقاد .

وقوله : «فلا تتصنع ولا تستعمل ...إلخ»، يريد أنك لا تخرب

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص٢٣٢، ح٣، باب : أن الآيات التي ذكرها الله عز وجل في كتابه هم الأئمة عليهم السلام . تفسير الصافي، ج٥، ص٩٢، في تفسير معنى الآية : ١٨ من سورة النجم . تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٤٩٢، ح٥ .

(٢) سورة الزخرف، الآية : ٥٧ .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٤) سورة الزخرف، الآيات : ٥٧-٥٨-٥٩ .

دارك بتعمير جارك، وتطلب الصعود بدون سلم، وتتـــزين بما لم يكن فيك بتركك ما منك فإنه تصنّع، ولا تستعمل الاشتغال عن وجودك بملاحظة طلب شهودك فإنه حجاب، وملاحظة الترقي عن العبادة إلى مقام الشهادة بُعْدٌ عن المعبود، بل نفس الإقبال على العبادة للمعبود، هو قرب المعبود، ومقام الشهود، وفقدان كل موجود، فالتصّنع هـــو معنى قوله : «فالاستجلاب حجاب» .

واعلم أن ملاحظة العبادة والعبودية، شغل عن المعبود أيضاً، بل هو الشرك الخفي، وتحققها عنده رياء باطن، وهذا المـــراد بقولـــه : «والآلة شغل بغير، فإن العبادة التي هي الامتثال بـــالأوامر الـــشرعية آلة[1] يتوصل بها إلى العبودية» .

والعبودية التي هي الرضا بالقضاء والطمأنينة، والثبات على مـــا يراد منه، وما يصدر عليه، المسماة بالطريقة وتهذيب النفس، وتأديبها وتوقفيها على الحدود التي تراد منها، آلة تستعمل ليتوصـــل بهـــا إلى المعرفة الذوقية الكشفية .

فملاحظة ذلك شغل بها عن المعبود، المـــشهود في كـــل ذرات الوجود، وهي أي : تلك الآلة هو الغير الذي عناه بقولـــه : «شـــغل بغير»، وهذا أكبر الموانع، وأعظم القواطع، نعوذ بوجه الله الكريم من الشك والشرك .

---

(١) آلة غير موجودة في «ن–ج» .

[رجوع السالك إلى الأصل بترك الأعمال الظاهرة]

قوله : «والرجوع إلى الأصل، ...إلخ»؛ يعني أن السالك إذا ترك الأعمال الظاهرة، واصلاح ظاهره وشؤونه بما أمر به، فقد ضيّع فراغه[1] الذي هو وصلة في صلاح أصله، وكمال معرفته، فاهمال الفرع تضييع للأصل؛ لأنه لا يمكن الرجوع إلى الأصل إلّا بتشييد الفرع وإصلاحه، وأيضاً لا يكمل الفرع ولا يصلح إلّا بالتهيء للرجوع إلى الأصل، فترك أحدهما يمنع من حصول الآخر الموصل للمتروك، فترك أحدهما ترك لنفسه، وللازمه من حيث اللزوم .

فترك العبادة يمنع من حصول المعرفة المانع من العبادة، وترتب الأثر عليها، وحصول المعرفة اللازم لها، وكذا ترك المعرفة .

ثم اعلم أنه كما أن للبدن تكليفاً خاصاً؛ هو الإمتثال بالأوامر الظاهرة، كذا للنفس تكليف خاص؛ هو تهذيبها وتوقيفها عند الحدود التي حددت لها، وللعقل أيضاً تكليف خاص؛ هو المعرفة، والتحقق بالحقائق الإلهية .

فتكليف كل منها لازم للمكلف في هذه النشأة، لا يجوز تركه للتكليف الآخر؛ لأنه نقص في زيد مثلاً إذا عرف حقيقة المعرفة، ولم يأت بالعبادة الظاهرة لم يصل؛ لأن حقيقة الوصول هو القيام بالخدمة والحضور، فالعبادة كالجسد للمعرفة، فلا تحقق لها إلّا بها في هذه النشأة، فافهم .

---

(١) فرعه في «ن–ج» .

فمن ترك الخدمة ليظن[١] أنه وصل، فقد جهل حقيقة الأمـــر، فالتكليف الظاهر مشتمل على التكاليف الباطنة، كاشتمال البدن على الروح، فلا تتقوم التكاليف الباطنة بدون الظاهرة، كمـــا لا يتقـــوم الروح بدون البدن .

فالعارف يعلم أنه ما دام في هذه النشأة فهو ناقص؛ لأن إبقـــاءه فيها إنما هو للكمل والتكمل[٢]، وإلّا فلا فائدة في إيجاده في النـــشأة، بل ينبغي لمن تحقق بالحقائق الإلهية، وانكشف على باطنـــه الأنـــوار الربانية، وقطع دعوى الإنية، أن يكون قائمـــاً بالعبـــادة والعبوديـــة، والاشتغال بالخدمة بدون ملاحظة لها؛ لأنها معراج الصعود، ومنـــزل الوفود، ليس للوفاد منـــزل غيرها .

فترك الخدمة مانع من الوصول، وملاحظتها قاطع عن الوصول، التارك مجدوع، والملاحظ مقطوع، فكل له عبادة، وتكليف خـــاص، قال سبحانه : ﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾[٣] .

فصلاة البدن هي إقامة الأوضاع والأركان، وصـــلاة الـــنفس بالخضوع والطمأنينة، بين الخوف والرجاء والإيمان، وصلاة القلـــب بالحضور، وصلاة السر بالمناجاة، وصلاة الروح بالمشاهدة والمعاينة .

---

(١) لظن في «ن–ج» .

(٢) للتكمل والتكميل في «ن–ج» .

(٣) سورة النور، الآية : ٤١ .

فصلاة البدن تنهي عن المعاصي، وصلاة النفس تنهي عن الرذائل، والهيئات المظلمة، وصلاة القلب تنهي عن الفضول والغفلة، وصلاة السر تنهي عن الالتفات والغيبة، كما قال عليه السلام : (**لو علم المصلي من يناجي ما التفت**)[١] .

وصلاة الروح تنهي عن الطغيان، وهو معنى قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّه** -في مقام الفناء- **اكبر** -من جميع الأذكار والصلوات- **وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾[٢]، في جميع الأحوال والصلوات .

فالكامل كلما ترقى في مقامات الكمال، تنزل للتكميل ليكون كاملاً مكملاً، وهو معنى قوله : أقبل فأقبل، وأدبر فأدبر[٣]، فإقباله كمال، وإدباره حقيقة الإقبال، وإذا رجع إلى أصله في سلم العروج، نظر إلى فرعه بعين التدبير، فهو مديم النظر إليه، نظر من لا يتشاغل به عنه، ليس همه اصلاح هذا الفرع، بل همه إقامته ليصلح له

---

(١) نصب الراية، ج٢، ص١٠٠، ح٩٢ .

(٢) سورة العنكبوت، الآية : ٤٥ .

(٣) عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال لَه : أقبل فأقبل، ثم قال لَه : أدبر فأدبر، ثم قال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ منك، ولا أكملتك إلَّا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب**) . [أصول الكافي، ج١، ص٢٧، ح١، كتاب العقل والجهل . وسائل الشيعة، ج١، ص٤٠، ح٢] .

أصله فيرجع إلى ربه، فحينئذٍ يحصل له اللقاء المعبر عنه بالمعرفة الذوقية الكشفية، وبعده الفناء الذي هو مقام الجمع، فيكون ممن يرى الحق في الخلق ظاهراً في كل شيء، وكل شيء مستهلك في وحدة صفته [لا ذاته؛ لأن ذاته لا نسبة لشيء معها بوجه، ولا في التعبير، فافهم][1] .

فهو ظاهر في كل شيء، باطن عن كل شيء، فبطونه نفس ظهوره في كل شيء، فهذا العارف هو الكامل، كما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل هل رأيت في الدنيا رجلاً؟ .

فقال عليه السلام : (**رأيته وأنا إلى الآن أسأل عنه، ...إلخ**)، لأني مكلف، بتدبره في الإيجاد، وتعليمه بطريق الهداية، والرجوع به إلى أصل البداية، فافهم .

فالطريق الموصل إلى الغاية، والمبلغ إلى النهاية، أن يتجلى بالاثنين، لئلا يكون ساقطاً من البين بتضييع ما أمر به بإصلاحه، وكلف بارفاده، ولقد أدب سبحانه نبيه أقرب الواصلين، وأشرف الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله، بقوله : ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[2]، استقامة حقيقة شاملة لجميع حركات قلبك وسكناته، ونفسك وبدنك في جميع نشأتك وتطوراتك، فإنك لا تكون واصلاً إلّا بعد الكمال في جميع الأحوال، وإلّا فأنت غافل، ولذا ورد : (**أنه** صلى الله عليه وآله **إذا تكلم مع**

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) سورة هود، الآية : ١١٢ .

أحد التفت بجميع بدنه)؛ وذلك لشدة استقامته في جميع أحواله .

ولما قيل له : لقد أسرع إليك الشيب يا رسول الله؟ .

فقال : (**شيبتني سورة هود**)[١] .

فقد تحمل أعباء العبودية، وقام بالأوامر والنواهي العقلية والنفسية والبدنية، لم يخالف له حال حالاً، فستقام كما أمر استقامة يعجز عنها الخلق؛ لعدم تأهلهم لبعض ما تحمله، وكذلك أبواب مدينة علمه، أما تسمع قوله تعالى بعد أن أفرده لشأنه، حيث جمعهم معه لأهم منه، فقال : ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ**﴾[٢]، وقتل نفسه في طاعتك، ولذا أخبر -جل شأنه- عنهم بقوله : ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا** -أي : الاستقامة التامة- **إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا** -على مجاهدة أنفسهم- **وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[٣]، قد استقام في جميع أحواله، وإلَّا فحظه ناقص، بل لا يكون ممن عني بها وقصد، ولكنه ممن أبعد عنها وصُد .

قوله : «وكان أبو سعيد ...إلخ»؛ يريد أنه ترك في مستنقع الموت؛ أي : محل الفناء الذي هو محل الكثرة رجله بعد أن خلع منها فعله في الوادي المقدس، عند الخطاب لرب الأرباب؛ يعني ترك جسمه

(١) الجامع الصغير، ج٢، ص٨٢، ح٤٩١٦ . كنز العمال، ج١، ص٥٧٣، ح٢٥٩٠ .

(٢) سورة هود، الآية : ١١٢ .

(٣) سورة فصلت، الآية : ٣٥ .

بجميع شؤونه، بعد أن طهره بالأعمال الصالحة، وخلع عنه ملابس الشهوات، ونزهه عن ملازمة الهفوات، فرجع مخاطباً له بأن جميع العالم الذي نهايته الحشر، والرجوع دون أخمصك الذي هو(١) الأسفل في العِظَمِ والجلالة، فكيف بالأعلى، وهذا كناية عن أن هذا الهيكل البشري الإنساني، إذا طهر عن الأدناس البشرية، خضع له الوجود بأسره، قال علي عليه السلام : **(وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها**(٢)**، فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد، فقد شارك بها سبع الشداد)**(٣) .

[في معنى المعاني الكمالية]

قوله : «إشارة إلى سر لا تحتمله العبارة، هات عرفني أين تجد المعاني الكمالية، التي عبرت عنها بالأسماء والصفات، ثم تنسبها إليه تعالى، فإنه لا بد لك من تعلقها أولاً ثم تنسبها إليه ثانياً، فإذا قلت :

---

(١) هو غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «العلل الأوائل هي : الأسماء والصفات التي هي أرواح المعاني .

والأواخر من العلل هي المعاني التي أولها العقل الأول، فهي تشابه الأفعال في انفعال الأشياء لها، وإضافة الأوائل إلى الجواهر ...[في المخطوطة كلمة غير واضحة]» . [منه قدس سره] .

(٣) مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ج١، ص٣٢٧ . بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٦٥ . ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص٢١١، ح١٢ .

في علمها، أو قلت: في عقلي، أو قلت : في قلبي، أو قلت : في خيالي، كل ذلك جواب صحيح شائع، لكني **أقول** : إن علمك لذاتك وفي ذاتك لم يحل فيه شيء غيرك، بل تتعين أنت فيه بجميع معلوماتك؛ لأن المعلوم لا يحل في العلم، هذا أصل لا خلاف فيه، وإلَّا كان يلزم من ذلك أن الله تعالى يحل فيه معلوماته، وذلك محال، فإذا علمت أن علمك وإن شئت قلت : عقلك، وإن شئت قلت : قلبك، وإن شئت قلت : خيالك، كل واحد من ذلك وجهة من وجوه ذاتك، وجميع ما فيه عينك، وقد وجدت فيه ما وجد من ذلك الكمال، والجمال والجلال، والأسماء والصفات، والعين والذات، علمت أنك المطلوب، والحبيب والمحبوب، فتأمل هذه الكلمات، فإنها يتيمة الدهر، لم يصفها أحد قبلي في كتاب، وهي من معارف المسمى بلب الألباب» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أنه يريد أن المعاني الكمالية، التي هي الأسماء والصفات الذاتية، لا يصح نسبتها إلى الحق تعالى، إلَّا بعد تعلقها بمظهرها؛ لأن الأسماء والصفات الذاتية عندهم كاملة، ولا كمال لها[1] إلَّا بوجود مقتضياتها، إذ يستحيل وجود الرازق بدون المرزوق، كما صرح به في آخر الرسالة، وذلك لأنها معانٍ قائمة به، فلا بد لمفهومها من متعلق، ولا جائز أن يكون متعلقها حادثاً، وإلَّا

---

(١) لها غير موجودة في «ن-ب» .

لكانت محلاً للحوادث، فيكون الذات محل الحوادث؛ لأن الصفات عين الذات، فوجب وجود الأثر في العلم الإلهي الأزلي لعدم جهله، هذا في كل الأسماء، والصفات النسبية، فإذاً لا بد لها من مظهر تتجلى فيه[1]، ليصح نسبتها إلى الحق تعالى؛ لأن صحة نسبتها إليه فرع تعلقها، وتعلقها بالمناسب ليصح الحكم حينئذٍ، فحكم التعيين إنما هو في التعلق، والمجالي باعتبار الظهور، وأما من حيث الذات واتصافها بها لا من حيث التعلق فلا تعيين فيها، ولا تعين ولا نسبة؛ لأن التعيين والتعين فرع التميز، والنسبة لازمة للناسب من حيث الناسبية، وللمنسوب إليه من حيث التعلق والتضايف .

فالصفات والأسماء من حيث الاتصاف تنسب إلى الحق أولاً، وإليك ثانياً، بعد أن اتصفت[2] بها بحسب التجلي، ومن حيث النسبة والتعيين تنسب إليك أولاً، وإلى الحق ثانياً؛ لأن النسبة فرع الناسب كما سبق، وكذا التعين، وذلك التعين إما بالفناء في عالم الأسماء والصفات، الذي هو صفة كينونة الذات، وذلك إذا انجذبت من عالم الأين، إلى حضرة العين، فكان الحب عين الحبيب، فتجدها صفاتك؛ لأن الذات ذاتك، وهذا مقام الفناء في الوحدة .

وتارة تراها في العقل، وهو مقام الشهود العياني والحصول .

---

(١) منه في «ن-ج» .

(٢) اتصف في «ن-ج» .

وتارة تراها في قلبك، وهو الشهود العلمي[١] .

وتارة تراها في خيالك في مقام التصور، وهذا كله صحيح، لكن تعلم أن علمك بها، وثبوتها بالنسبة لك في كل مقام من الأربعة وهو أنت؛ لأن العلم الذاتي عين العالم، وكذا قلبه وعقله وخياله وكل ما منه، فهي وجوه من وجوه ذاته، فيكون جميع ما فيه وما منه عينه، فإذا وجد الكمال، والأسماء والصفات، فيما هو منه من علم أو عقل، أو قلب أو خيال، عَلِمَ أن ذلك عينه؛ لأنه لو لم يكن المعلوم عين العالم، لحل المعلوم في العلم، فيلزم من ذلك أن معلومات الله تحل في علمه الذي هو عين ذاته وهي غيره، وذلك محال؛ لأنه لا يكون محلاً للحوادث وإلّا لكان حادثاً، ولا محلاً لقديم وإلّا لتعددت القدماء، فلم يكن صمداً فيكون حادثاً، بل يجب أن يكون علمه عين ذاته وهو معلومه، لأن معلومه مقتضى أسمائه وصفاته، فإذا علمت ذلك، ووجدت الأسماء والصفات في ذاتك بحسب مظاهرك، ومجالي ذاتك، واتصفت بها كنت أنت المطلوب، وصار الحبيب عين المحبوب، هذا مرادهم على زعمهم .

واعلم أن الأسماء والصفات الذتية للحق تعالى، لا نسبة لها إليه ولا انتساب؛ لأنهما يقتضيان اثنينية، وصفاته عين ذاته بلا اعتبار، فلا يصح نسبتها إليه؛ بمعنى التضايف، وإنما نسبتها[٢] للحق وإضافتها إليه

---

(١) العلي في «ن-ب» .

(٢) نسبتها غير موجودة في «ن-ب» .

باعتبار صفة أثرها، فتعدد الآثار المختلفة بالنسبة إلى المؤثر، حكمنـــا بثبوتها ونسبتها إليه إضافة مجازية، وإلّا فليس صفات ذاته غير ذاته، ولا تكثر في ذاته، ولا إضافة ولا نسبة، وتلك الأسماء والصفات الـــتي لا يصح نسبتها باعتبار آثارها، فهي صفات حادثة أضافها إلى نفـــسه، كما قال: (**بيتي وروحي وخلقي**) .

والآثار المتكثرة إليها تنسب، فالنسب والإضافات إلى الحادثـــة، فالعلم بالمعلوم، والقدرة بالمقدور، والـــسمع بالمـــسموع، والبـــصر بالمبصر، صفات حادثة، هي مبدأ الآثار لهذا التعلق .

وأما الذاتية فلا تعلق لها ولا[1] نسب، كما قال عليه السلام : (**عـــالم إذ لا معلوم والعلم ذاته، وقادر إذ لا مقدور والقـــدرة ذاتـــه**)[2]، فالمقتضيات هي هذه الصفات الفعلية، وهي لا تنفك عن مقتـــضياتها التي هي الآثار، فافهم .

---

(١) لا غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**لم يزل الله عزّ وجلّ ربنـــا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مـــسموع، والبـــصر ذاتـــه ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، ...**) . [أصول الكـــافي، ج١، ص١٢٨، ح١، باب : صفات الذات . الفـــصول المهمـــة في أصـــول الأئمـــة، ج١، ص١٤٢، ح٣، باب : ١٢ . نور البراهين، ج١، ص٣٥١، ح١، باب : ١١ . بحار الأنوار، ج٤، ص٧١، ح١٨، باب : ١ . تفسير نور الـــثقلين، ج١، ص٣٨، ح٣٣] .

إذا عرفت ذلك فاعلم أن[١] كلما يمكن نسبته أو إضافته، أو تعقله أو تعلقه، أو ثبوته في مرتبة، أو في عقل، أو في خيال، أو في قلب، فليس هو إلَّا الصفات الفعلية، باعتبار تعلقها بالآثار، وظهورها في المجالي، فإذا قيل : وجدتها في عالمها، أو في عقلي، أو في قلبي، أو في خيالي[٢]، فالمراد بها الأسماء والصفات الفعلية على ما سبق[٣] .

وأما الذاتية فلا تعين فيها، ولا نسبة ولا تعلق، فلا يصح الحكم عليها ولا النسبة، لأنهما صفتا حدوث لا تقعان على القديم، وقد أبطلنا التعدد ولو باعتبار ما، وسيأتي تمام البحث إن شاء الله تعالى .

فإذاً إنما تدرك العقول مماثلها، وتنال مشابهها، وكذا القلوب والخيال، فليس بمعنى فتحيط به العقول وتدركه، ولا صورة فيشكله الخيال ويشخصه، وإنما حظها منه إثبات الوجود له فقط، وهو صفة له ومعرفتها بصفاتها، فكل مدرك فإدراكه صفة له باعتبار عروضه وتحديده[٤]، وهو صفة للمدرك -اسم مفعول- فما صح اطلاق العبارة عليه، أو نالته الإشارة فحادث، والقديم متعالٍ عن ذلك؛ لأن الإدراك تكييف للمدرك، والحق لا كيف له فيعلم به، ولا يتكيف[٥]

(١) أن غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) أو قلبي أو خيالي في «ن-ج» .

(٣) راجع الصفحة رقم (٢٨) من هذا الكتاب .

(٤) باعتبار عروضه وتحديده غير موجودة في «ن-ب» .

(٥) متكيف بشيء في «ن-ج» .

لشيء فينفعل به، فالتعلق والتعقل والنسب إنما هو لآثار صفاته وأسمائه، فكل إنما يدرك من صفات ربه، هي حقيقته لا يتجاوزها، ولا يتجلى الحق له إلَّا بتلك الصفة، فهو يعرفه من حيث عرَّفه، ويعلمه من حيث علَّمه، فإذا عرَّفه العبد بما عرَّفه، وتجلى له به عرف ربه، وشهد نفسه، فلم يعلم غير مقامه، ولم يشهد سواه، فظن أن لا مقام غيره، ولا شيء سواه؛ لأن الحق ظهر له من كل جهاته، فلم تبق له جهة يدرك بها غيره، ويعرف بها سواه، [إذ لو كان كذلك لما أمكن التعبير عن نفسه بأنا، ولم يعرف الوحدة بحالٍ][1]، فلا جهة لله بالنسبة إليه إلَّا جهته التي ظهر له بها، إلَّا إن لله جهتين بالنسبة إليه، وإن كانت كل الجهات جهته تعالى، قال تعالى: ﴿**فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ**﴾[2]، بل أحد له جهة خاصة غير جهة الأخرى لا غير، وإن كان لكل نوع جهة عامة، فيها جهات خاصة لكل فرد من ذلك النوع، هي رؤوس في تلك الجهة العامة .

فإذا تجلى الحق للعبد، فقد ملأ وجوده بوجوده، حين ظهر بغيبه في شهوده، فلم ير في الوجود سواه، ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[3] .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١١٥ .

(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

قوله : «إن عقلك ...إلخ» ظاهر؛ لأن كل شـــيء ينـــسب إلى ذاتك، فهو وجه من وجوهها .

وقوله : «وقد وجدت فيه ...إلخ»، فقد سبقت الإشارة إليـــه، من أنك إنما تجد أثراً من آثار صفات الأسماء، والصفات كالحرارة من النار لا الصفة، فلا يتجلى إلّا بأثر من صفة من آثار الصفات، فلا يجد الأسماء والصفات بنوع من الإدراك، ولا في شيء من مـــشاعره، لأن مشاعره صفة من آثار تلك الصفات، فلا يتحقق بها، ولا يتصف بهـــا إلّا لله الواحد القهار.

واعلم أن هذه مراتب على مقدمات، نتيجتها وحدة الوجـــود، [وتلك المقدمات ثبوتها متوقف على ثبوت وحدة الوجود][1] حقيقة، وإن أمكن ترتب المقدمات ظاهراً على غيرها، لكنها راجعة إلى ثبوتها، وهي أن العلم صفة ذاتية للعالم، وكلما كان كذلك أي : صفة ذاتية فهو عين الموصوف، أعني العالم، فينتج أن العلم عين العالم، فإذا ثبت اتحاد العلم والعالم أخذنا هذه النتيجة وجعلناهـــا مقدمـــة صـــغرى، فنقول: هذا العلم لا ينفك عن المعلوم لذاته، وكلما كان كذلك أي : غير منفك عن شيء لذاته، فهو عينه، فينتج أن العلم عين المعلوم .

ويعني بالذاتية هو ما من ذاتيات الشيء، لا من اللوازم الخارجية المنسوبة للذات، فيلزم حينئذٍ منه[2] ثبوت الوحدة المرادة؛ لعدم خروج

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

(٢) عنه في «ن–ج» .

الموجودات عن أحد هذه الثلاثة؛ العالم والعلم والمعلوم، ليس غير هذا مرادهم، وهو باطل للدور؛ لأنه لا تكون الصفة عين الموصوف إلّا بهذا الاعتبار -[أي : بكونها من كمال ذاته، لا أنها أثره ولا معروضه][١]- بعد ثبوت الوحدة، هذا في الحادث .

وأما في القديم فلا يصح أن يكون لصفته[٢] مفهوم غير مفهوم ذاته يتحد به، بل كل صفة وقعت عليه، أو نسبت إليه نسبة ذاتية فهي تعبير وتفهيم، لا مفهوم لها غير ذاته، فلا يمكن أن يكون لها مفهوم يقتضي الارتباط والتعلق، كما ادعاه من أن صفاته كاملة ولا كمال لوجودها إلّا بوجود مقتضياتها؛ لأن الارتباط والتعلق صفتا حدوث، والكامل بغيره ناقص والغير أكمله، فيلزمه النقص بإكماله له، فعلمه الذاتي ذاته، وقدرته عين ذاته بلا مفهومية ولا كيفية .

وأما العلم الفعلي فالعلم عين المعلوم بلا مغايرة، وهو غير العالم؛ لأنه أثره، والمؤثر لا يكون أثراً بحال، وإلّا لكان مؤثراً لنفسه، فيكون مسبوقاً بها، فيلزمه[٣] الجهة؛ أي : الحيثية والحدوث، وهما ممتنعان في القديم .

وأما الحادث فعلمه الفعلي عين معلومه، وعلمه الإنفعالي هو غير المعلوم قطعاً؛ لأنه أثر ذلك المعلوم .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) الصفة في «ن-ج» .

(٣) فيلزم في «ن-ب» .

وإنما ثبت للعالم بالانطباع أو الحصول وهما معاً؛ أعني الفعلي والإنفعالي إلى[1] غير العالم .

وأما الذي ليس بفعلي ولا إنفعالي، كعلم الذوات بأنفسها، فالعالم وإن كان نفس المعلوم والعالمية والمعلومية حيثيتان له، [فيلزم من أخذ الحيثية في علم الذوات أنفسها كون العالم غير المعلوم أيضاً][2]، لكنه غير المعلوم؛ لأن هذا العلم نفس ثبوت المعلوم عند العالم من حيث هو معلوم، فافهم .

[الفرق بين ذات السالك الممكنة والذات الإلهية]

قوله : «ضرب مثل على وجه الجدل، لما عرجت ونزل قال بعض الفقراء : جذبت من عالم الأين إلى حضرة العين، فوجدت المطلوب قريباً، والمحب حبيباً، ثم قلت له : أيها الأمر العالي، والشأن الغالي، أستأذنك في السؤال عن الفرق بين حالك وحالي؟ .

فقال : هل لتجاب، واعلم أنه لا فرق بيننا إلّا في الألقاب .

فقلت : لِمَ أنت ذو القدرة والعزة، وأنا ذو الذل والعجز؟ .

فقال : لأنك مظهري في عالم الأين، وأنا مظهرك في حضرة العين .

---

(١) إلى غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

فقلت[1] : لِمَ كان مظهري هو العالي اللطيف، ومظهرك هو الدون الكثيف؟ .

قال : لأني حقيقتك، وأنت حقيقتي، فحقيقتك هي الباقية الوجودية، وحقيقتي هي الفانية الحكمية، وعن قليل أزول، وتبقى فيزهق الباطل عندما تجيء حقاً، أما علمت أنك مرآتي وأنا مرآتك، والمؤمن مرآة المؤمن .

فالموجود فِيَّ صفاتك، والموجود فيك صفاتي، وصفاتك هي الموجودة الكاملة، وصفاتي هي المفقودة الزائلة، فلهذا إذا رأيتني وجدتني بحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال، وإذا رأيت نفسك وجدتها محل التغير والحدثان، ومعدن النقص والذل باللسان، ولو وقفت يا إنسان لإسقاطي رأساً، لما كان عليك جناح ولا بأس، وكنت حينئذٍ ترى في ذاتك من الكمالات ما كنت تحسبه في ذاتي، وتسقط عنك من النقائص ما كنت تظنه من صفاتك، وهي من صفاتي، فبزوالي تزول الاثنينية والاشتراك، ويغلب صيد الأحدية من ربطة الاشتراك، وهذا لعمري سم قاتل، إلَّا لمن كان له قلب قابل .

شعر :

دع الوقوف مع الآلات والعلل
واحذر من القيد بالأعلام والطلل

---

(١) فقلت غير موجودة في «ن–ج» .

وأنزل بسرحك مـــا في الحـــي مـــن أحـــد
سواك واعمد إلى مـــا شـــئت مـــن عمـــل»

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن معنى قوله[١] : «ضرب مثل على وجه الجدل»، يريد أن هذا الخطاب حال الوصول والاتحـــاد لـــيس بحقيقي؛ لعدم تحقق الاثنينية، والخطاب لا يكون إلّا من اثنين، ولكنـــه من باب ضرب الأمثال، إبانة للمقامات حالة الاتصال، وتكلماً بلسان الحال قبل كمال الاتحاد بالاتصال، وهو حال عروج السفلى إلى عالم النور، ونـــزول العليا إليها، ليتحدا في الظهور .

[معنى الفقر الحقيقي]

قوله : «قال بعض الفقراء»، يريد بذلك الفقر الحقيقي؛ وهـــو الفقر إلى الله، كما قال صلى الله عليه وآله : (**الفقر فخري وبه افتخر على ســـائر الأنبياء والمرسلين**)[٢]، وهذا الفقر هو الجذب المشار إليه؛ لأنه جذب الأحدية[٣] لصفة توحيده[٤]، لم يرَ شيئاً سواه، ولم يبق له من نفـــسه اعتبار، فحينئذٍ يجد مطلوبه قريباً مشاهداً، ومحبه حبيباً واحداً .

واعلم أنهم يريدون بأنه إذا ظهر نفسه عن دعوى الإنية، وكمل عن الرذائل الخلقية، كان مجمع الكمالات، ومظهر الأسماء والصفات،

---

(١) قوله غير موجود في «ن-ب» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

(٣) أحديته في «ن-ج» .

(٤) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٥٦) من هذا الكتاب .

فتكون الكمالات له بالذات، فهو مظهر الحق والحق مظهره؛ لأنه هو لا من حيث هو، بل هما واحد بالذات، إلّا إن الحق مظهره في حضرة العين، وهو مقام الوحدة، وهو مظهر الحق في عالم الأين في مقام الكثرة، فيكون كل منهما حقيقة الآخر في مظهريته، فحقيقة العبد حينئذٍ هي الباقية، وحقيقة الرب هي الفانية، فتفنى العليا بالسفلى، وتبقى السفلى بالعليا .

فصفات العبودية في الربوبية، وصفات الربوبية في العبودية من حيث المظهرية؛ لأنه مظهر الشيء مجمع صفاته، فكل منهما مجمع صفات الآخر لأن مظهره، فيجعلون الخطاب مع رب الأرباب، وذلك حقيقة الكفر والإلحاد؛ لأن الحق لا يصح عليه الاتحاد، ومظهر الأحدية الجامعية لا يتكثر، كما أسلفناه فراجع ما سبق[1] .

قوله : «ثم قلت له -إلى قوله- : واعلم أنه لا فرق بيننا إلّا في الألقاب»؛ يريد أنه بعد أن أشرق نور الحق على ظاهره بباطنه، لم يجعل بينهما فرق إلّا في الأسماء، باعتبار الاتصاف بالصفات الظاهرة الزائلة، والباطنة الثابتة، فكل له صفات خاصة له، ظاهر بها باعتبار الآثار الفعلية .

[الفرق بين صفات السالك وصفات الله تعالى]

قوله : «فقلت : لِمَ أنت ذو القدرة -إلى قوله- : في حضرة

(١) راجع الصفحة رقم (٧٤) من هذا الكتاب .

العين»؛ يعني أنك من حيث كونك مظهري في عالم الكثرة، تلبست بالعجز والذل، فلم تنفعل الأشياء لك، وأنا من حيث أني مظهرك في مقام الوحدة، تلبست بالقدرة والعزة، فانفعلت لي الأشياء انفعال الأثر للمؤثر؛ لأن الكثرة أصلها ومبدؤها الوحدة التي هي وحدتي، فأنا الفاعل القادر والعزيز، وهذه الصفات التي تنسب لي في الحقيقة صفاتك لأني ذاتك، والصفات التي تنسب إليك في الحقيقة صفاتي لأنك حقيقتي وذاتي، وهو المعني بقوله: «فقلت: لِمَ كان مظهري - إلى قوله-: هي الفانية الحكمية»، ولذا تسمعهم يقولون: وجهي الباقي، ووجه الله الفاني؛ لأنه وجهي، وأنا وجهه، ويحملون عليه قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[1]، يعني وجه ذلك الشيء، فالحق وجه الخلق، والخلق وجه الحق، وهذا ومثله وما بعده تعبير فاسد، موجب للكفر الظاهر والباطن، وإن أريد به معنًى صحيحاً؛ لأنه من حيث قوله كلمة الكفر كفر ظاهر، ومن حيث الإلحاد كفر باطن؛ لأنه مدع لمرتبة الجامعية، منكر لصاحبها، فيكون منكراً للحق هنا، ولقد نهت الشرائع والأنبياء والرسل عن هذا، ولعنهم الله في كتابه العزيز بقولهم كلمة الكفر، قال تعالى: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ**﴾[2]، وقال تعالى:

(١) سورة القصص، الآية: ٨٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾[١]، فألسنتهم كافرة، وقلوبهم فاجرة، (**لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق**)[٢] .

قوله : «وعن قليل أزول وتبقى، ويزهق الباطل عندما أن تجيء حقاً»؛ يريد أنك إذا عرجت إلى حالة الاتحاد والاتصال، أزول عن تميزي وتفردي، وتبقى بي في وجودي الذي هو حقيقتك، فيزهق الباطل الحادث من الاثنينية التي هي منشأ الكثرة، عندما أن تجيء حقاً بي ليس غيرك .

وقوله : «ما علمت أنك مرآتي -إلى قوله- : هي المفقودة الزائلة»، قد تقدمت الإشارة إليه[٣] .

قوله : «وإذا رأيتني وجدتني ...إلخ»؛ يريد أنك إذا رأيتني حالة الفرق، وجدتني بحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال، وأنت نفسك حالة تحققها عندك محل التغير والحدثان، ومعدن النقص والزلل، وهو ظاهر .

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٦٤ .

(٢) نهج البلاغة، ص٦٥٩، ١٤٧ ومن كلام له عليه السلام لكميل بن زياد . الخصال، ج١، ص١٨٦، ح٢٥٧، باب : الثلاثة . خصائص الأئمة عليهم السلام، ص١٠٥ . نور البراهين، ج١، ص٤٠٢، ح٤، باب : ١٥ . بحار الأنوار، ج١، ص١٨٧، ح٤، باب : ٢ .

(٣) راجع الصفحة رقم (١٠٩) من هذا الكتاب .

وقوله : «ولو وقفت يا إنسان ...إلخ»؛ يريد أنك لو وقفت مستقيماً على العهد القديم، وقمت على الصراط المستقيم، لكنت أنت أناً، فكنت ترى في ذاتك من الكمالات حالة الجمع، ما كنت تظنه في ذاتك حالة الفرق، وهو منك وفيك، هذا مرادهم .

فأقول : اعلم أن لكل شيء جهتان هما جناحاه؛ أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره .

فالجناح الأيمن الأعلى؛ هو حقيقته من ربه، وتحققه به .

والأيسر الأسفل؛ هو تحققه من حيث نفسه .

فالجهة العليا هي ربوبيته الذي هو مقام وحدته وباطنه، ولاهوته، ومجلى ظهور الحق له به .

والجهة السفلى هي عبوديته وناسوته الذي هو ظاهره؛ أعني مقام كثرته الظلمانية، ودعوى الإنية، فإذا طّهر ظاهره من الأدناس البشرية، والكثرة الظلمانية، وسَلِمَ من دعوى الإنية، أشرق باطنه عليه، وأضاء بنور ربه، فينجذب من عالم الأين إلى الحضرة المقدسة، المسماة بحضرة العين، فحينئذٍ يخاطب ظاهره باطنه؛ لأنه متوجه إليه، منقطع عما سواه؛ لأنه وجهه من الله، فيطلب منه الشهود الحضوري، بعد حصول العلم الكشفي، فيحصل له بعد ذلك الاتصال، وهذا مع ربه المربي له، والمصالح لشؤونه، الذي هو وجهه من الله، وطريقه إليه، وصراطه المستقيم، ونهجه القويم .

فتخاطب السفلى العليا بأني مظهر صفاتك، وأنت حقيقتي

وذاتي، وأنا الظاهر الفاني، وأنت الباطن الباقي، فالعجز والذل ملبسي ومني وإليّ، والقدرة والعز منك ولك، فأنا الفاني بلا بقاء، وأنت الباقي بلا فناء .

فإذا تركت إنيتي وكثرتي، رجعت إليك، فكنت أنت حقيقتي إذ تحققت بك، وأشرق عليّ النور من جانب الطور، فحينئذٍ يزهق باطل الكثرة، ويجيء حق الوحدة، فأكون بك بحر الكمال، ومعدن الجمال والجلال؛ لأن الكمال كمالك، والجمال والجلال جمالك وجلالك، فأنا مظهرك الذي تتجلى فيه بكمالاتك، فالكمال شأنك، والنقص شأني، فكلما أرادوا ونسبوه إلى أنفسهم؛ فهو عين الإلحاد[1] كما بيناه مراراً، فافهم.

قوله : «حكاية عن حال، ووصل من غير انفصال غيبني، وارد الوقت مرة عن الأكوان، وأخرجني بالكلية من عالم الحدثان، فأشهدني صفاتي، ثم أوجدني ذاتي، ثم نقلني مني إليّ، في أطوار كثيرة لي عندي ولدي، فلما قمت على الصراط المستقيم، وحفظت شروط ذلك العهد القويم، وضعت إحدى القدمين في حضرة العين، والأخرى في عالم الأين، فخاطبت السفلى العليا هل تستفهم عن أولاها وآخراها؟.

فقالت لها : يا من هي ذاتي، والموصوفة بصفاتي، بل يا من أنا ذاتها واسمها وصفاتها، ما لنا متحدان بالعين، متعددان في مقام البين؟ .

---

(١) الاتحاد في «ن–ج» .

قالت : العليا بظهور ما لنا من المراتب، وبروز ما فيها من المنافر والمناسب، ليجمع مقام الاشفاع والأوتار، وتستوعب كمال الوحدة والاستكثار، وما ذاك إلّا عبارة عن شؤوني الذاتية، تظهر على مقتضى أحكام الصفاتية، فهي كالأمواج، وأنا البحر العجَّاج .

فقالت السفلى : فما الفرق بيني وبينك؟ .

قالت العليا : ليمتاز حكم عيني من حكم عينك .

قالت السفلى : أما العينان عين فمن أين الفرق في البين؟ .

قالت العليا : نعم نحن عين وحدة الذات، متعـددة بالأسمـاء والصفات .

فقالت السفلى : فلِمَ لا يكون لي في وحدة العين مالك، وكيف تمتازين بالقدرة دوني في أفعالك؟ .

قالت العليا : لأنك تكونين في الوحدة بما تقتضيه حكم الكثرة، فلو كانت في وحدتنا بحكم مشهدنا من غير علـة وتمييـز، لقمتِ بالقدرة من غير تكلف ولا تعجيز .

قالت السفلى : أنا أشهد أنك إني، ومع ذلك لا يبلغ فنكِ فني؟.

قالت العليا : ذلك الشهود هو الذي أقصاك ومنعك من بلـوغ قصدك؛ لأن شهود الاثنين واحداً يقضي باثنينية، وحجاب لمن كـان مشاهداً .

فقالت السفلى : فما العمل؟ .

قالت العليا : ترك الخطأ والخطل في وفاء شروط أمر علة العلل .

فقالت السفلى : قد فهمت بعض ما أشرت إليه، فزيديني إيضاحاً لعليَّ أتمكن لديه .

قالت العليا : هذا ميزاني فيه جميع تلك المعاني، فزني فيه نور شمسك، واسقطي غيرك بإثبات نفسك، يظهر لك السر المصون، وينكشف لك عن علم الكاف والنون .

فقالت السفلى : كيف قالت العليا : بلا حيف ولا زيف؟ (١) .

فقالت السفلى : ثبتنا .

قالت العليا : سقطنا .

فلما تخاطبا قدامي بهذا الخطاب، فتح لي في الأفق الأعلى ذلك الباب، فولجت في عالمي، وعقدت حواي بآدمي» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن هذا الفصل كالذي قبله، إلَّا إن فيه زيادات في العبارة قليلة المعنى .

قوله : «حكاية عن حال ...إلخ»؛ يريد بالحال الحضور الشهودي، وبالوصل الاتحاد الوجودي؛ يعني أنه لما جذبه الشوق الإلهي بوادر الفكرة السليمة، حالة الانقطاع عن علائقه، غيّبه ذلك الوارد عن الأكوان، وأخرجه عن عالم الحدثان، الذي هو مقام الكثرة، فحين ترقى عن حضيض التقليد إلى علم اليقين، وقطع علائق

---

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «قوله : بلا حيف ولا ريف بلا جور ولا سنة؛ يعني بلا تعبير ولا إسراف» . [منه قدّس] .

كثرته وشهواته، حصل في مقام شهوده، فاستجمع كـل صـفاته، فتحقق بكمالاته في الظهور، حين أشرق عليه نور ذاته .

ثم لما غفل عن نفسه، ولم يشهد رسمه، كان في مقام وجوده بعد فقدان شهوده، فوجد ذاته بذاته، وتحلى -بالمهملة؛ أي : اتـصف- بجميع كمالاته، وتجلى -بالمعجمة؛ أي : أظهر[١]- بصفاته، فحـين تمت له وجوداته، بقي يتقلب في أطواره، ومقامات وجـوده، إلى أن قام على صراطه المستقيم، صراط الله الخاص به، وحفظ شروط ذلك العهد، حين سئل في الذر الأول بالإيجاد، وأجاب في الذر الثاني عنـد الاستشهاد، فمن قال : بلى بوجوده وصبغته، فهو كامل مكمل لمـا دونه، فيصح له خطاب سفلاه لعلياه؛ أنه أشهد خلق نفسه .

قوله : «وضعت إحدى القدمين في حضرة العين»؛ يعـني أنـه وضع باطنه في مقام الوحدة، وظاهره في عالم الأين، وهو عالم الكثرة، فخاطبت السفلى علياه، طالبة للإستفهام عـن مبـدئها ومنتـهاها، فقالت: يا من هي ذاتي، والموصوفة بصفاتي؛ يعني يا من هي حقيقتي، والمتصفة بصفاتي الكمالية، المنسوبة إليَّ وهي لك، وأنا أيضاً ذاتهـا في مظهر الكثرة، واسمها المميز[٢] لها في مقام التفرقة، وصفاتها التي تتصف بي في المظاهر، ما لنا متحدان بالعين من حيث الذات في مقام الجمع، متعددان في مقام الفرق والمظاهر .

---

(١) بالمهملة أي اتصف، وبالمعجمة أي أظهر غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) المتميز في «ن-ب» .

فأجابت العليا بأن الفرق والتعدد بسبب مراتبنا في الظهور والبطون، والكثرة والوحدة، والقرب والبعد، وظهور المنافي الناشىء من مرتبة الكثرة والظلمة، وحصول المناسب الناشىء من مرتبة الوحدة والنور، فالتعدد إنما كان لحكمة الاستكمال، ليستجمع مقام الظهور والبطون، فالبطون هو الوحدة والإيثار، والظهور هو الانتفاع والاستكثار، فهذا التكثر والتعدد شؤوني الذاتية، ظهرت على مقتضى أحكام الصفاتية، فهي كالأمواج، وأنا كالبحر العجَّاج، ولذا قال ابن سينا[1] في وصف الروح : «حيث أهبطت لتتصل بهذا العالم، وتعرف ما لم تظهر به في عالمها، إن كان أرسلها الإله لحكمة، طويت عن الفطن اللبيب الأورع، فهبوطها لا شك ضربة لازب؛ لتكون سامعة بما لم تسمع، وتكون عالمة بكل خفية في العالمين، وخرقها لم يرقع، فاعرف ما ألقي إليك من المشابهة» .

وقوله : «شؤوني الذاتية ...إلخ»؛ يعني أن في وحدته اقتضاء لكل مظهر من مقتضيات أحكام الصفات، وهذا مرتب على أن الموجودات بالنسبة إلى الحق شؤون ذاتية له، فهي كالأمواج في بحر

---

(١) **ابن سينا هو** : «أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ولد في عام : «٣٧٠هـ»، وتوفي عام : «٤٢٨هـ»، برع في كثير من العلوم منها؛ الفلسفة والطب والمنطق، له كثير من الكتب؛ منها : الشفاء، والنجاة، والإشارات، وغير ذلك من المؤلفات» . [راجع : شذرات الذهب، ج٢، ص٢٢٤ . سير أعلام النبلاء، ج١٧، ص٥٣١]

وحدته، وهو باطل لما قلنا في مطاوي عباراتنا، وهو أن الموجـــودات شؤون فعله لا ذاته، إذ لا شؤون لذاته ولا اقتضاء، وإنمـــا الاقتـــضاء للفعل الذي هو ظهوره؛ [أي : إحداثه، أي : ظهور ذاته، إذ لو كان كذلك لكانت له حالتان، فيلزمه الحدوث][١] .

والظهور اقتضى المظاهر، فهو علة المعلولات، والحـــق علتـــه لا باقتضاء خاص في الذات له غير الذات، سابق على المقتضي -اســـم مفعول- لأنه لا حيثية له، ولا جهة فيه، قـــال عليه السلام : (**خلـــق الله المشيئة بنفسها** -الذي هـــو نفـــس وجودهـــا- **ثم خلـــق الخلـــق بالمشيئة**)[٢]، (**فبمشيئته كانت الأشياء**)[٣] .

[ولا يذهب عليك قوله عليه السلام : (**فبعلمـــه كانـــت المـــشيئة، وبمشيئته كانت الأشياء**)][٤]، لأن علمه هو ذاته بكل جهة، وبكـــل اعتبار فيه كانت .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) أصول الكافي ج١، ص١٣١، ح٤، باب : الإرادة أنها من صـــفات الفعـــل وسائر صفات الفعل . التوحيد، ص١٤٧، ح١٩، باب : ١١ صفات الذات وصفات الأفعال . بحار الأنوار، ج٤، ص١٤٥، ح٢٠، باب : ٤ .

(٣) في أصول الكافي ج١، ص١٦٩، ح١٦، باب : البداء . والتوحيد، ص٣٣٤، ح٩، باب : البداء . وبحار الأنوار، ج٥، ص١٠٢، ح٢٧، بـــدل كلمـــة : «الأشياء- الإرادة» .

(٤) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ب» .

واعلم[1] أن المشيئة أيضاً علم لله حادث، فبنفسها الذي هو علمه كانت خلق الله المشيئة بنفسها، فعلمه الذي هو ذاته علة فاعلية، وعلمه الذي هو نفسها علة فعلية، هي علة مادية، وصورية وغائية، فافهم الإشارة .

قالت السفلى : فما الفرق بيننا، طلبت معرفة العلة الموجبة للفرق .

فأجابت : بأن الفرق تمييز للأحكام، وهي الصفات اللاحقة لي، وهي لك، وإلَّا فنحن عين واحدة بالذات، والتعدد بالأسماء والصفات.

فقالت السفلى : لِمَ لا يكون لي من الاتصاف والتحلي بالصفات الكمالية، حتى أقدر على إظهار جميع الآثار مثلك، مع أنا عين واحدة.

فأجابت : بأن ظهور الآثار لا يكون إلَّا للوحدة من حيث الوحدة، لا من حيث الكثرة؛ لأن الكثرة فرع الوحدة وأثرها، إذ كل كثرة لا بد وأن يكون أصلها وحدة تنشأ عنها، وترجع إليها .

فلما كانت في وحدتك بمقتضى حكم الكثرة، لا تحقق لكِ في هذه الدار، إلَّا باعتبار الاتصال بالصفات، والتجلي بالكثرة في هذه النشآت، لم تقدري على إظهار الآثار، ولو حصلتِ في مقام الوحدة

---

(١) فاعلم في «ن-ج» .

بقطع العلائق، وترك المخالف والموافق، لا تصفتِ بالقوة والقــدرة، فنتحد بلا تميز في البين، ولا تعدد في العين .

فقالت السفلى : أشهد أنك أنت أنا، وإن كنت أنت البــاطن وأنا الظاهر .

فقالت العليا : لو صدقت في هذه الدعوى لمـا شـهدت؛ لأن الشهود إقرار للمشهود، وحضور عند المعبود، وهو غير حكم الاتحاد، فحضورك حجاب بيننا، بل هو أعظم حجب الاتحاد، فإذا خلعــت النعلين، وانخلعت عن الكونين[1]، وأزلتِ ما بيننا من البين، حــصل الاتحاد بترك الأجساد في عالمي الكون والفساد .

قال الشاعر :

واخلـــع الـــنعلين إن جئـــت إليّ
ذلـــك الـــوادي ففيـــه قدســـنا
وعـــن الكـــونين كـــن مخلعـــاً
وأزل مـــا بيننـــا مـــن بيننـــا
وإذا مـــا قيـــل مـــن تهـــوى فقـــل
أنـــا مـــن أهـــوى ومـــن أهـــوى أنـــا

---

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «يعني إذا خلعتِ نعلي نفسك وشـهواتك، وانخلعتِ عن كوني ظاهرك وباطنك، وأزلت ما في البين من تحقـق الاثـنين، وتركت جسد باطنك، وتحققه في عالم كونه وجسد ظاهرك في عالم فساده، اتحدنا اتحاداً حقيقياً» . [منه قدس سره] .

فقالت السفلى : فما العمل في الوصول، وكيف الحيلة في الاتحاد؟ .

فقالت العليا : طلب الاتحاد فإنه حجاب، وتصوره مبعد عن الاتصال، إذ الطلب والتصور لا يكونان إلّا في مقام الفرق والاثنينية .

فوفاء شرط الاتصال أن تقطعي عنكِ جميع علائقكِ، بدون شعور منكِ بهذا الوفاء والقطع، فإن الشعور حجاب الاتصال، وهو معنى ترك الخطأ والخلل، في وفاء شروط أحكام أمر(١) علة العلل، فحين علمت المراد، طلبت الازدياد .

فأجابتها : بأنكِ إن تزني بميزاني الذي وزنت به، واعلمتك كيفيته، تصلين وتتصلين، فلم يبق عليك بعد المعرفة إلّا العمل بما عملتِ، فإنك إذا اسقطت غيركِ من الكثرة، وأثبتِ نفسكِ في الوحدة بالوحدة، ظهر لك السر(٢) المصون، الذي سألتِ عنه، وهو فيَّ مكنون، وانكشف لكِ عن عالم الكاف والنون، فتفعلين في الأشياء كفعلي؛ لأنك مثلي، بل أنت حينئذٍ فرعي وأصلي .

ثم قالت السفلى : كيف الاتحاد مع قطع العلائق والشعور، فهل لذلك جهة معينة حتى أتي منها؟ .

فقالت العليا : ليس إلّا الفناء فقط، فحين ثبتت السفلى عن التغير والفساد، سقطت العليا بالاتحاد .

---

(١) أمر غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) السر غير موجودة في «ن-ب» .

قوله : «فلما تخاطبا ...إلخ»؛ يريد أنه مجمع البحرين، والواسطة بين الاثنين، فلما تخاطبا بهذا الخطاب، الذي هو تأهلهما للاجتماع، برفع جهة الاثنينية، وفتح له في مقام الوحدة، الذي هو الأفق الأعلى باب الاتصال، ولج عالمه في حضرة العين الذي منه بدأ وإليه يعود، بقطعه شؤونه وعلائقه، ورجع إلى أصله بعد تكميل فرعه، وحفظ شرعه، وعقد ظاهره بباطنه؛ لأن باطنه ينفعل له ظاهره، الذي حواه بقدرة القادر على حسب المظاهر .

واعلم أن هذا ومثله مقتبس من كلام أهل العصمة عليهم السلام ، إلّا إن فيه تغييراً وتحريفاً، قصداً للمشابهة،كما أخبر سبحانه عمن طلب ما ليس له بأهل بقوله : ﴿**لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا**﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿**وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ**﴾[2]، ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾[3]، لأن هذا لا يحصل إلّا للكمل، الذين أشهدهم الله خلق السماوات والأرض، وخلق أنفسهم فشهدوا بما أشهدهم، في كل رتبة كلٌّ في مقامه، وقد أخبر علي عليه السلام عن مخاطبة لاهوته لناسوته، حين سئل هل رأيت في الدنيا رجلاً، يعني كاملاً قد تحلى بصفات قدسه، فأشرقت عليه الأنوار، وانفعلت له الآثار؟ .

(١) سورة الأنفال، الآية : ٣١ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ٩٣ .

(٣) سورة الزمر، الآية : ٩ .

فقال : (**رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه؛ لأني مكلف بتدبيره وإصلاحه، مديم النظر إليه، بالفيض والمدد، ليكمل تكميله لشؤونه، إذ كل ما في العالم شؤونه وأحواله .**

فقلت له : من أنت ليجب بما علم من حال نفسه، من الفقر والحاجة إلى ربه) .

وهذا السؤال تكليفه الحقيقي، العام له في ذاته وأوقاته وتطوراته، لأن سائر التكاليف[1] خاصة، بأزمنة وأمكنة خاصة، وكذلك للمكلف، فإن كل عضو له تكليف يخصه، ليس للعضو الآخر فيه مدخل إلّا مدخلية الارتباط؛ كالصلاة فإنها وإن كانت تكليفاً للإنسان، لكن الأفعال والأقوال كل منها يختص بعضو خاص .

فالعموم في التكليف الباطن للنفس، من حيث أن لها تعلقاً بالبدن، والعموم في التكليف الظاهر للبدن من حيث تعلق النفس به، وإن كان لكل جزء جزء يخصه من هذا التكليف، في أوقات معينة، وأماكن مخصوصة، فقال : أنا الباطن .

فقلت : من أين؟ .

فقال : من الطين؟ .

فقلت : إلى أين؟ .

فقال : إلى الطين، فأقرّ بفقره وفاقته، واعترف بضعفه وحاجته

---

(١) التكاليف غير موجودة في «ن-ب» .

إلى ربه، في تحققه وأصل مبدئه، ومنتهى أمره، وهـــو إشـــارة إلى أن العارف لم يزل في مقام الفقر والعجز والفاقة والذل بالنسبة إلى ربـــه، فحين عرف نفسه كمال المعرفة، لما أشرق عليه النور ناداه ربه مـــن جانب الطور، بأن (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**)[1]، فإن كنـــت من العارفين فأجبني جواب الواصلين؟ .

فقلت : من أنا؟ .

فقال : أنت أبو تراب، يعني لما سألته عن حقيقتي، أجاب بأنك أنت المربي لي، والمصلح لأحوالي؛ لأنك [أنت الماء الذي به حياة كل شيء، ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[2]، لأنك الكلمة التامة، التي برزت][3] عنها الموجودات، واستندت إليها الكائنـــات، فأنـــت حقيقة الوجود، وأنا بك ذلك الموجود، إذ لولاك لم أكـــسَ حليـــة الوجود، فأكون ميتاً هامداً لا حراك لي إلَّا بك، فلو تركتني لحظة عن الفيض والمدد، لم أكن شيئاً مذكوراً، بعد أن كنت ظاهراً مشهوراً .

فقلت : أنا أنت؛ لأنك ظاهري وأنا باطنك، فأكون مثلـــك في الفقر والحاجة والفناء، وهو اعتراف بالاســـتناد، وإقـــرار بالعبوديـــة والرجوع، يعني أني مع ما أنا فيه من العظمة والجلالـــة، والكبريـــاء والهيبة، عبد للحق، فقير في جنبه، كما أن جميع الموجودات راجعـــة

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

(٢) سورة الأنبياء، الآية : ٣٠ .

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

مستندة إليَّ بأمره، فأنا أمره، وقد ورد : (**لا تدعونا أرباباً، وقولوا فينا ما شئتم، ولن تبلغوا**)(١) .

وفي الدعاء : (**كلهم صائرون إلى حكمك، وأمورهم آيلة إلى أمرك**)(٢) .

فالرجوع إلى الله هو حقيقة الرجوع إلى أمره -جل اسمه- إذ هو الرب الذي يرجع إليه العباد، ويؤل ما في البلاد .

ومعنى الرب المربي، والمصلح بإذن الله تعالى، وفي حديث المعراج، قال جبرائيل عليه السلام : (**قف يا محمد إن ربك يصلي**)(٣)؛ يعني حقيقتك، فالصلاة عبادة وخضوع .

وقد سئل الخليل بن أحمد الفراهيدي(٤) ما معنى يصلي؟ .

---

(١) لم نجد نص الرواية كما هي بل وجدناها بألفاظ أخرى، عن إسماعيل بن عبد العزيز قال : قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : (**يا إسماعيل لا ترفع البناء فوق طاقته فينهدم، اجعلونا مخلوقين وقولوا بنا ما شئتم فلن تبلغوا**) . [بصائر الدرجات، ص٢٢٩، ح٥، باب : ١٠] .

(٢) الصحيفة السجادية، ص٢٤٠، وكان من دعاءه عليه السلام في عيد الفطر .

(٣) مدينة المعاجز، ج٢، ص٤٠٣، ح٦٢٧ .

(٤) **الخليل بن أحمد الفراهيدي هو** : «أحد أذكياء العرب المشهورين، إمام في اللغة والنحو والأدب، واضع علم العروض، وصاحب معجم العين، وشيخ سيبويه، توفي سنة : «١٧٠هـ»» . [طبقات النحويين واللغويين، ص٤٣-٤٧] .

قال : «يصل النبوة بالولاية؛ يعني إحكامهما»، فافهم .

قال : حاشك من الفقر والحاجة والتغير، بل أنت الباقي، وما سواك فهو الفاني؛ لأن فقرك هو الغنى الحقيقي بالحق سبحانه، ففقرك حقيقة الفناء، وفناؤك حقيقة البقاء، والتغيّر والتبدل لا يطرؤ عليك بحالٍ؛ لأنك سر الأسرار، ومبدأ الأنوار، فالتغيّر جلباب الحادثات، وأنت منزه عن وصمة الكائنات، هذا من الدين في الدين .

إن ادعيت أنا أني مثلك ومشابهك، فهو من القول الكذب الباطل، في المعتقد الباطل الكذب؛ لأن الدعوى الظاهرة غطاء وحجاب عن المعرفة، والترقي والدعوى الباطنة غطاء على القلب، وحجاب عن الاتصال والمشاهدة، فحين عرف ظاهره؛ أي : الناسوت نفسه، وعرف ربه، كما قال عليه السلام : **(من عرف نفسه فقد عرف ربه)**[1]، الذي هو حقيقته، أراد باطنه ولاهوته، أن يظهر له السر المصون، والسر المستتر بين الكاف والنون؛ لأنه كلمة الله العليا، التي بها كانت الكائنات، وظهرت الموجودات، وأشرقت الأرض والسماوات، ليكمل ويحصل في مقام الجمع بعد كونه في مقام الفرق.

أنا أنا؛ أي : أنا الواحد الظاهر في كل شيء، والقائم بي كل شيء، الساري في كل شيء، ومرجع كل شيء، فأنا العلة

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

للمعلولات، وسر الموجودات، والحق سبحانه علة العلل[1]، فأنا الواسطة والرابطة، قال علي بن الحسين عليهما السلام، كما رواه صاحب

---

(١) يرى الشيخ علي نقي قدس سره بأن الله علة العلل، ولكن ليس على النحو الذي طرحه فلاسفة المدرسة المتعالية كصدر المتلهين وغيره، فهذه الرؤية الفلسفية التي تبنوها فيها الكثير من المخالفة للتوحيد الإلهي، كما صرح القرآن الكريم، وكذلك في أحاديث أهل العصمة عليهم السلام، بل يرى قدس سره أن الذات المقدسة علة غير اقتضائية؛ بمعنى ليس فيها شروط العلة الاقتضائية؛ كالمقتضي والتماس وعدم المانع، بمعنى هو سمي الله علة، بمعنى هو علة العلل بفعله، أو هو علة سماه كذلك تأدباً؛ حتى لا يقال : الله ليس العلة للإيجاد .

أما المعنى الآخر للعلة كما عند المدرسة المتعالية فقد رفضه كما في هذا الكتاب مراراً، منها قوله في ص١٤٧ : «ففعله هو العلة التامة للمعلولات، والذات منزه عن كل شيء، فهو علة العلل»، ويقول في شأن الاقتضاء في ص١٩٤ : «اقتضاء ذاته تعبير؛ لأن ما يكون وجوده باقتضاء فحادث مسبوق بالاقتضاء المسبوق بمثله، والله –جل شأنه– موجد الاقتضاء والإيجاد، فهو علة العلل ...» .

إذن نخلص إلى نتيجة هي أن الله علة غير اقتضائية؛ بمعنى أن هذه العلة لا تسانخ المعلول، ولا ترتبط به بحال، فجهة الارتباط لا تكون إلّا بين ممكنين حتماً، كما هو صريح القرآن .

إذن الله علة بمعنى أن مسبب الأسباب، لا أنها خرجت من ذاته كخروج النبتة من البذرة، فهذا عين الولادة المنفية بمحكم القرآن الكريم في سورة الإخلاص، حيث قال سبحانه : ﴿**لم يلد**﴾ .

ويقول في الرسالة العلمية «مخطوط» بشكل صريح ص١٠ : «والذات إنما

...←

أنيس السمراء وسمير الجلساء، في حديث طويل منه : (**وأما المعاني فنحن معانيه، وظاهرة فيكم، اخترعنا من نور ذاته، وفوض إلينا أمور عباده**)[1] .

←...

سميت علة لاتصافها بالعلية اتصافاً فعلياً، فالذات علة للمعلولات من حيث أثره وصفته، فلا تكون الذات علة اقتضائية؛ إذ ليس في ذاته تعالى من حيث ذاته اقتضاء لشيء، وإلّا لكان الاقتضاء ذاته؛ لحكم البساطة الصرفة، التي لا تركب فيها لا عيناً ولا اعتباراً» .

ويقول في نفس المصدر : «فالقدم ذات العلة، والعلة والمعلولية كلاهما في رتبة الحدوث»، ومن أراد التفصيل فليراجع هذا المصدر الذي نقلنا منه] . [هذه التعليقة تمت بقلم الشيخ سعيد محمد القريشي] .

(١) قال مولانا محمد بن علي الباقر عليه السلام : (**يا جابر عليك بالبيان والمعاني** .

قال : قلت : وما البيان والمعاني؟ .

فقال عليه السلام : **أما البيان فهو أن تعرف أن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فتعبده ولا تشرك به شيئاً** .

وأما المعاني؛ فنحن معانيه، ونحن جنبه، ويده ولسانه، وأمره وحكمه، وكلمته وعلمه وحقه، إذا شئنا شاء الله، ويريد الله ما نريده .

نحن المثاني التي أعطى الله نبينا، ونحن وجه الله الذي يتقلب في الأرض بين أظهركم، فمن عرفنا فأمامه اليقين، ومن جهلنا فأمامه سجين، ولو شئنا خرقنا الأرض وصعدنا السماء، وإن إلينا إياب الخلق، ثم أن علينا حسابهم) [مشارق أنوار اليقين في حقائق أسرار أمير المؤمنين عليه السلام، ص٣٣٦، فصل : ١٦٣، قول الباقر عليه السلام لجابر : عليك بالبيان والمعاني] .

فنور الذات هو الحجاب الأعظم، الذي ليس لله حجاب أعظم منه، وهو التعين الأول، ومقام أحببت أن عرف[١]، فافهم[٢] .

قوله عليه السلام : (**أنا أنا**)؛ أي : أنا الواحد المنفرد في واحديتي فلا أعرف لواصف، ولا درك لعارف؛ لأني صفة من لا يوصف ولا يدرك، قد انطوت الوحدات في وحدتي الحقيقية، وانمحقت الكثرات في صفة ذاتي العلية، فهذا مقام البطون، وذلك مقام الظهور .

وقوله : (**أنا ذات الذوات، والذات في الذوات للذات**)؛ أي : حقيقة الحقائق، والحقيقة في الكائنات لذات واجب الوجود، فأنا صفة الذات، ومجمع الأسماء والصفات، ومظهر تلك التعينات، فكل الأسماء والصفات الحادثة صفاتي، وأنا كلمة الله العليا، وشجرة طوبى وسدرة المنتهى، وجنة المأوى، كما أشار إليه علي عليه السلام في خطبته التي أولها (**الحمد لله مدهر الدهور، وقاضي الأمور، ومالك نواصي حتم المقادير** -إلى قوله عليه السلام- : **أشهد أن لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فنحن أصول العلم، فلعن الله السالف والتالف والفسقة، أنا باب المقام وحجة الخصام، ودابة الأرض، فاصل القضى، وصاحب العصى، وسدرة المنتهى، وسفينة النجاة، من ركبها نجى، ومن تخلف عنها هوى، لم يكن**

(١) تقدم ما يشير إلى معنى هذه الرواية في الصفحة رقم (٢٤) من هذا الكتاب .

(٢) فافهم غير موجودة «ن-ج» .

الدعائم من أطراف الأكناف، ولا من أعمدة فسطاط السحاب الأعلى كواهل أنوارنا، فنحن العمل، ومحبتنا الثواب، وولايتنا فصل الخطاب، ونحن حجة الحجاب، فبأي ألاء الله تتخذون نجاتاً)[1]، هذا الذي أردناه منها .

قوله عليه السلام : فقال عرفت؟ .

فقال : فأمسك؛ يعني أنه لما تجلى الباطن للظاهر، وحصل له الشهود الحضوري، الذي هو مقام عين اليقين، أخبر بأنه قد عرف ربه وحقيقته، حين عرف نفسه .

فأجابه : باطنه؛ بأنك قد وصلت واتصلت، ولكن بقي عليك شيء؛ وهو الإمساك عن الخطاب، أما ظاهراً فإن من عرف ووصل وجب عليه كتم السر المكنون، لبني العقول عن إدراك هذا المنال، ولزوم الحرج وضيق المجال، ما دام متعلقاً بأحوال هذه الدار .

وأما باطناً فالمراد به أن الخطاب حجاب الاتصال، فلا تتصل كمال الاتصال إلَّا بعد قطع علائقك بالكلية، وترك نفسك من البين، لعدم تحقق اثنين، لتكون في مقام الجمع، وقبل الإمساك المقالي والحالي، فأنت في مقام الفرق، إذ حقيقة الجمع هو الإمساك عن تحقق اثنينية، وعدم الشعور بها، ولهذا أجاب ظاهره لما عرف مراده من قوله: (**نعم؛ أي : عرفت**)، لأن المعرفة مقام الشهود لا مقام الاتحاد .

---

(١) الهداية الكبرى، ص٤٣٣ .

فقال : فامسك؛ أي : امتثل ذلك بالمعنيين المذكورين، وهذا لا يصح إلَّا لصاحب الجامعية، كما أشرت إليه مراراً، فافهم .

[المراد من السلطنة]

قوله : «برق لاحَ، ونسيم فاحَ، يا هذا ما لم تذق لذة السلطنة، لا يأتي منك سلطان؛ لأن هذا الأمر لا تكفي فيه المعرفة بدون الوجدان، ولا يكفي الوجدان بدون فقدانه كل الفقدان، انظر إلى الملك في سكرته، ثم ذق حالته في مملكته، ثم سر سيره في موكبه، ثم أقل بعد ذلك على مركبه، وهذا طلسم من حلّه أحل محله، فلا تشتغل بهذا ولا بذاك، فما ثم شيء سواك» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أنه أراد بالسلطنة الملك لما في جميع الوجود[1]، وذلك لا يحصل إلَّا بعد الكون في حضرة العين والاتحاد الحقيقي، وإلَّا فما دمت في مقام الكثرة، فأنت مبعد عن السلطنة والملك، بل أنت مملوك مدبر، ليس لك تصرف في شيء، بل لا يقدر على ملك نفسك؛ لأن زمامها بيد غيرك، كما أخبر سبحانه عن نبيه ﷺ في مقام العبودية، بقوله : ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلَّا مَا شَاء اللّهُ**﴾[2]، فإذا قتلتها بسيف المعرفة، ودفعتها في رمس اليقين، قامت بنفخ صور الشهود حية تسعى، فتجلببت بجلباب

---

(١) الملك لجميع ما في الوجود في «ن-ج» .

(٢) سورة الأعراف، الآية : ١٨٨ .

الأنوار، وتحلت بصفات الكمال المنسوبة إلى غيرها؛ لأنها في مقام الفرق، فلا يمكنها حينئذٍ إظهار آثار الكمالات بالذات، وإذا استقرت في حضرة العين، وقامت في مقام الاتحاد، أمكن أن يأتي منها سلطان، وظهرت منها الأسرار، وتحققت بظهور الآثار لذاتها، فتكون كل الكمالات كمالاتها، والأسماء والصفات أسماؤها وصفاتها .

[المعرفة العلمية والوصول إلى المطلوب]

وقوله : «لأن هذا الأمر ...إلخ»؛ يريد أن المعرفة العلمية لا توصل إلى المطلوب؛ لأنها حجاب بين المحب والمحبوب، فما لم تدرك بالوجدان الذي هو المشهود فلست بعارف، وإنما أنت واصف فلم تدرك إلَّا الاسم، ولم تقع على غير الرسم .

وأما إذا كنت في مقام الشهود، فقد وجدت ما طلبت؛ لأنه ليس ثمة إلَّا عابد ومعبود، ولا يكفي أيضاً هذا الشهود في ظهور الآثار، بل لا بد أن تفقد نفسك، فلا تشهد لك مشهداً، ولا ترى شاهداً ومشهوداً، فتكون أنت ذلك المعبود .

قوله : «انظر ...إلخ»؛ يعني أنك إن أردت الوصول، فاترك مقام الأين والكثرة، وانظر إلى الملك في دار مملكته، حال شهودك في تلك الحضرة، وذق حالته في مملكته، واسكر بلذة القرب منه، ثم سر سيره في موكبه، فإنك إذا صحوت من هذا السكر، باتصالك بالمطلوب، سرت سيره، وعملت عمله، وتصرفت تصرفه، واتصفت بما هو له وهو لك، فإذا اتصلت بالمحبوب، وكنت أنت الطالب والمطلوب، فقد

علوت على مركب وجدانيته، وكنت قد حللت هذا الطلسم بنفي الاسم والرسم، فصرت أنت هو بلا أنت، وهو أنت[١] بلا هو، فلا تشتغل بمعرفة الحضور الشهودي، والاتحاد الوجودي، فما ثم غيرك؛ لأن العين عينك، وليس شيء سواك هذا .

واعلم أن كل ما ذكره يسقى بماء واحد أجاج، كما قال عليه السلام: (**عيون كدرة، يفرغ بعضها في بعض**)[٢]، وقد بينت[٣] مراراً أن الذات متوحد متفرد، لا يعرف ولا يوصف، ولا يناله الاسم، فكلما سمي أو أطلق عليه لفظ أو قُصِدَ بنعت فغيره، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما مقام الجامعية ومظهر التعين، فمتحد لا يمكن تعدده، ومدعيه ملحد، ومنكره كافر؛ لأنه قد أنكر التوحيد، فراجع ما سبق تعرفه من مطاوي كلامنا، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

قوله : «خمر رائق، ونسر عابق، استوى العالم كلهم في الوجودية، وافترقوا في معرفة وجودهم، استوت طائفة منهم في ذلك في معرفة أنهم موجودون، وافترقوا في معرفة وجوده وجدهم .

---

(١) وهو أنت غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤٨) من هذا الكتاب .

(٣) بينته في «ن-ج» .

واستوت طائفة في معرفة موجدهم، وافترقوا في معرفة الإيمان به وبرسله[١] .

واستوت طائفة في معرفة الإيمان به وبرسله، وافترقت في العمل بمقتضى ما جاءت به الرسل .

واستوت طائفة منهم في العمل بذلك المقتضى، وافترقوا في معرفة ما خوطبوا به من حقيقة التوحيد على ألسنة الرسل .

واستوت طائفة منهم في تلك المعرفة، وافترقوا في تمييزها .

واستوت طائفة في التمييز، وافترقوا في قبولها ذوقاً .

واستوت طائفة منهم في القبول، وافترقوا في شهودها عيناً .

واستوت طائفة منهم في الشهود، وافترقوا في وجودها حالاً .

واستوت طائفة منهم في الوجود، وافترقوا في اللذة الحاصلة بحكم وجود ذلك الحال .

واستوت طائفة منهم في اللذة، وافترقوا في القوة بظهور الآثار في هياكلهم .

واستوت طائفة منهم في ظهور الآثار، وافترقوا في الاتساع، وفوق كل ذي علم عليم» .

(١) الإيمان برسله في «ن-ج» .

[مراتب الوجود]

أقول : اعلم وفقك الله أن الوجود له مراتب[(١)]، وجود حق؛ وهو الواجب لذاته -جل اسمه- الذي لا يوصف[(٢)] ولا يكيـــف، ولا يدرك له كيف إلّا إنه الثابت بذاته، الذي أثبت كل شـــيء كرمـــه وجوده، لا إله إلّا هو العزيز الحكيم .

ووجود مطلق؛ وهو حقيقي الوجود، لا الوجود الحـــق، بـــل الوجود الحقيقي، وهو[(٣)] منشأ كل موجود؛ لأنه فعل الله، وهو بسيط من كل جهة، إلّا جهة الفعلية التي هي الظهور، فلا كثرة فيه، ولـــذا سمي بالمطلق؛ أي : الذي لم يقيد بماهية، إذ الماهية هي التقيد الـــلازم للوجود، التي يلزمها الأحكام من التقدم والتأخر، والوضع والهيئـــة، والوقت والمكان والرتبة .

فالمقيد لازمه الماهية؛ لأنها هي حقيقة التقيد .

---

(١) يقصد مولانا الشيخ علي نقي ﷺ أن الوجود له مراتب؛ بمعنى أنواع، وإلّـــا فهو لا يؤمن بأن الوجود له مراتب تشكيكية كما في الفلسفة المتعالية وغيرها، فوجود المخلوق عنده مختلف تماماً عن وجود الحق سبحانه، لـــذلك قـــال : «وهو حقيقي الوجود لا الوجود الحق»، نعم يؤمن بالتشكيكية في مراتـــب الوجود المخلوق نفسه، كما سيشرح هو لاحقاً، فافهم بارك الله فيك . [تمت هذه التعليقة بقلم الشيخ سعيد محمد القريشي] .

(٢) يوصف غير موجودة في «ن–ج» .

(٣) هو غير موجودة في «ن–ج» .

فالوجود المطلق هو الوجود الصرف الخالص من شوب الكثرة، إذ لا ماهية له، فهو فعل الله، والماهية الإنفعال للفعل؛ لأن كون الشيء منفعلاً متميز متشخص بالإنفعال .

ووجود مقيد بالماهيات، لتركبه منها، لقبوله الإنفعال بعد وقع الفعل عليه، فهذا الذي تلزمه الأحكام السابقة، فكان لذلك مقولاً بالتشكيك قرباً وبعداً، وقوة وضعفاً، وإن كان كل مراتبه متساوية في الوجودية، إلَّا أن وجود المعدن أبعد من الفيض، وأضعف قوة واستعداداً بالنسبة إلى النبات، والنبات بالنسبة إلى الحيوان، وهكذا إلى مرتبة الجامع، وكل مرتبة متساوية في الوجودية بالنوع .

وإنما اختلف بالشخص على حسب اختلاف قابلياتها، ففيها أطيب وأعذب، وأقوى وأكثر وجوداً .

فالعالم استووا في الوجودية، وافترقوا في معرفة وجودهم بدء وعوداً.

فقالت طائفة : أنهم غير موجودين بوجود سابق، مستند إلى الغير، وأنهم غير عائدين؛ إذا لا مبدأ لهم إلَّا أنفسهم، فلم يعرفوا كيف وجودهم، بل قالوا : إنهم كالنبات في الأرض، تذهب وتجيء أبداً لا انقطاع لذلك .

واستوت طائفة في معرفة وجودهم؛ بمعنى أنهم موجودن مستندون إلى موجد، لأن وجودهم حادث، فيكون له محدث سابق عليه، واختلفوا في ذلك .

فقالت طائفة منهم : أنه العناصر واختلفوا، فذهبت طائفة أنـــه العنصر الترابي؛ لأن جميع الحيوانات من التراب نشأت وإليه تعـــود، وهؤلاء أضعفهم عقلاً، وأقلهم تصوراً، وربما رجعوا إلى الفرقة الأولى.

وقالت طائفة : أنه العنصر المائي؛ لأنه الذي به حياة العالم، وبه قوامهم، وهو ذكر العنصر الترابي، والفاعل فيه، وبه الحل والعقد .

وقالت طائفة : أنه العنصر الهوائي؛ لأنه أقوى من العنـــصرين، وفيه حياة الحيوانات، ومجرى مادة الحياة بالتنفس .

وقالت طائفة : أنه العنصر الناري؛ لأنه أقوى العناصـــر فعـــلاً، وأشرفها درجة، وأعلاها رتبة، وأشدها لطافة، فمبنى الحيـــاة علـــى الحرارة الغريزية، وصورتها الوجود، فهي أصـــل الوجـــود، وهـــؤلاء المجوس(١) .

وذهبت طائفة إلى أنه الطبائع الأربع؛ لأن العالم مركب منـــها، وعبارة الأصل أولى من الفرع، وهم الطبيعيون .

وذهبت طائفة إلى أنه الكواكب؛ لأن الطبائع أثر الكواكـــب، فالأولى عبارة الكواكب السبعة؛ لأن كلاً منها مستقل بنفسه، مـــؤثر في الوجود، وهم الفلاسفة .

---

(١) **المجوس هم** : «أتباع النبي زرادشت الموحد، لكنهم حرفـــوا دينـــه وقـــالوا : بأصلين للوجود، إله الخير وإله الشر، أو إله النور وإله الظلمة، مع أن النـــور والظلمة مخلوقتان لله» . [معجم الكلام، ص٣٤٧، حرف : المـــيم، رقـــم : ٣١].

وذهبت طائفة إلى أنه النور والظلمة، وهم الثنوية(١) .

وذهبت طائفة أنه الدهر، فلم يعبدوا شيئاً زعماً بأن العبادة لا تفيد، وإنما الدهر لما يقتضيه مجبول من حيث فطرته، فما ثم إلَّا الأرحام تدفع، والأرض تبلع، وهؤلاء هم الملاحدة، وهم الدهريون(٢) .

وذهبت طائفة أنه الصورة، فعبدو الأوثان .

واعلم أن كل هؤلاء متفقون في التصور، وإنما اختلفوا في التصديق، فأخطأوا فيه، حتى قيل : أنهم عبدوا الحق من حيث مظاهره، فاختلفوا في أحوالهم لاختلاف آثار الأسماء والصفات، فاختلاف العبادة لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات .

فالمجوس عبدوه من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مغيبة لجميع المراتب، والأسماء والصفات، كذلك النار، فإنها أقوى الاستقصات وأعلاها، فإنها مغيبة لجميع مراتب الطبائع المحاذية، لا يقاربها طبعه إلَّا ويستحيل للنار لغلبة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقاربها اسم ولا صفة، إلَّا ويندرج فيها ويضمحل، فلهذه اللطيفة عبدوا النار،

---

(١) **الثانوية هم** : «أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا : بحدوث العلم» . [الملل والنحل، ص١١٥، الفصل : الثاني] .

(٢) **الدهرية** : «قوم يقولون : لا رب ولا جنة ولا نار، ويقولون : ما يهلكنا إلَّا الدهر، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبيت» . [بهامش الخرائج والجرائح، ج٢، ص٧١٠] .

زاعمين أن حقيقتها ذاته .

والطبيعيون عبدوه من حيث صفاته؛ لأن الأوصاف الإلهية أصل بناء[1] الوجود التي هي الحياة، والعلم والإرادة والقدرة .

فالرطوبة مظهر الحياة، والبرودة مظهر العلم، والحرارة مظهر الإرادة، واليبوسة مظهر القدرة .

فالطبائع مظهر الأوصاف في عالم الأكوان .

والفلاسفة إنما عبدوه من حيث أسمائه تعالى؛ لأن الكواكب مظاهر أسمائه، فزحل مظهر الواحدية؛ لاحاطته بالأفلاك .

والمشتري مظهر الرب؛ لأنه المربي، وهو أسعد الأفلاك .

[والمريخ مظهر القدرة والقهر؛ لأنه المختص بالأفعال القهرية .

والشمس مظهر اسمه الرحمان؛ لأن كل الكواكب تستمد منه][2]، واسمه الرحمان تستمد منه جميع الأسماء .

والزهرة مظهر الإرادة والتفصيل؛ لأنها سريعة التقلب في نفسها، ولها في كل تقلب حكم كالإرادة .

وعطارد مظهر العلم؛ لأنه الكاتب في السماء .

والقمر مظهر الحياة .

والثنوية[3] عبدوه من حيث نفسه، زاعمين أن ذاته مجمع

---

(١) بناء غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٣) تقدم ترجمة هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٣٩) من هذا الكتاب .

الأضداد، فهي تشمل المراتب الحقية الإلهية[١]، فظـاهر في الوصـفين بالحكمين، فما كان منهم منسوباً إلى الحقيقة الإلهية في النـور، ومـا كان منسوباً إلى الحقيقة الخلقية، فهو عبارة عن الظلمة، فعبدوا هذين الأصلين لهذا السر الإلهي، على زعمهم الجامع للوصفين .

والدهرية[٢] عبدوه من حيث الهوية؛ لأن هويته لا تـدرك ولا تتناهى، وما ورد من النهي عن سب الدهر، كمـا قـال ﷺ : (**لا تسبو الدهر فإن الدهر هو الله**)[٣] .

فالمـراد به أن الدهـر اسم لله كما فـي الدعاء : (**يا دهر يا ديهور**) .

وإن الدهر في اعتقاد الساب هو الفاعل، فيسب الفاعـل، ولا فاعل إلَّا الله تعالى، فيكون قد سب الله، وهو مورد النهي .

وبالجملة؛ لم تبق ذرة من ذرات أنواع الوجود، إلَّا وقد عُبدت من دون الله تعالى، إما عبادة ظاهرة، أو عبادة باطنة، فلو أن أحـداً رجى شيئاً، أو خافه أو حسنه من حيث نفس ذلك الشيء، فقد عبده من دون الله في تلك الجهة، وقد ورد : (**من أصغى إلى نـاطق فقـد عبده، فإن كان الناطق ينطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان ينطق**

(١) الحقية والخلقية في «ن–ج» .

(٢) تقدم ترجمة هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٣٩) من هذا الكتاب .

(٣) بهامش تهذيب الكمال، ج٢، ص٥٩ .

عن الشيطان فقد عبد الشيطان)[١]، وقال سبحانه : ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[٢] .

واستوت طائفة في معرفة موجدهم وأنه الحق تعالى، وأنه ليس من سنخ الأشياء، ولا مماثل ولا مشابه، ولا منافر ولا مضاد، قديم أزلي، والأزل ذاته .

واختلفوا في معرفة الإيمان برسله، فنفته طائفة وهم البراهمة[٣]، فهم يعبدون الله لا من حيث نبي ولا رسول، بل قالوا : لا حاجة لنا بالرسل؛ لأن الخلق متساون في الحاجة إلى الفاعل المختار، فلا بد أن يكون الحكيم لكمال كرمه، مفيضاً لكل أحد ما يحتاج إليه من إصلاح شؤونه وأحواله، ليتم بذلك كرمه، وعليه يعترف بنعم مولاه إليه .

---

(١) فروع الكافي، ج٦، ص٤٣٤، ح٢٤، باب : الغناء . الفصول المهمة في أصل الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٥٢٦، ح٥، باب : ١٤ . وسائل الشيعة، ج٢٧، ص١٢٧، ح٩، باب : ١٠ .

(٢) سورة يوسف، الآية : ١٠٦ .

(٣) **البراهمة هم** : «قوم يسكنون الهند، تنسب إلى براهما؛ أي : اسم الله تعالى في اللغة السنسكريتية، ينكرون الرسالة، ويعتقدون وحدة الوجود، والتناسخ، وتقديس البقر ورمة لحمها، وحرق الموتى، ولهم عدة أصنام، وكتابها المقدس الفيدا» . [انظر : موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون، ج١، ص٣٢٠ . موسوعة الأديان والمذاهب، ج١، ص٥٣ . قاموس المذاهب والأديان، ص٥٠] .

ولما كان سبحانه كريماً لا يبخل، وقادراً لا يعجز، وحكيماً لا يعبث، ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١]، فعلم الخلق طرق الهداية، وجعل فيهم الهادين إليه، والدالين عليه منهم، لتكمل حجته [في] تلك العقول.

وأما قصور بعض العقول وضعفها، فإن التمدن الذي جبله الله تعالى في طبائعهم، والارتباط الذي بينهم مكمل لذلك القصور والنقصان .

وهؤلاء يزعمون أهم من ولد إبراهيم عليه السلام، وأن عندهم كتبه من نفسه لا من عند الله، وهي خمسة أجزاء، فهم يبيحون قراءة أربعة لكل أحد .

وأما الجزء الخامس فإهم يكتمونه لا عن الأحاد منهم لبعد غوره، ويزعمون أن من قرأه وعرفه لا بد أن يؤل أمره إلى الإسلام، ثم أن كثيراً من الناس يتزيا بزيهم، فيعبد الأوثان، وهو ليس منهم، وأكثر ما يوجدون ببلاد الهند .

واستوت طائفة في معرفة الإيمان به وبرسله، وهذه أمة الإجابة، واختلفوا في العمل بمقتضى ما جائت به الرسل، فبعض أنكر وكفر بعد الإيمان، ولم يصدق وإن كان مقراً .

واستوت طائفة في العمل، وهذه تسمى أمة التصديق ظاهراً،

---

(١) سورة طه، الآية : ٥٠ .

واختلفوا في معرفة ما خوطبوا به من حقيقة التوحيد، فبعض قال بالحلول، فثلثت طائفة وأفردت أخرى .

وبعض قال بالاتحاد، فافردت هذه الطائفة بعد ثبوت الاثنينية، وبعض قال بالوحدة، وأن الحق كل الأشياء، وكل هؤلاء كفار، وإنما غطوا التوحيد وكفروا به، وانكروه من حيث[١] لا يشعرون، ﴿**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾[٢] .

وطائفة قالت : بحقيقة التوحيد؛ بأنه الواحد الفرد، المنزه عن الحلول والاتحاد، والمقدس عن مجانسة الأنداد، ومخالفة الأضداد[٣]، ومشاركة العباد، ولا يعرفه أحد إلّا هو، وجوده ذاته، وذاته عينه، وكل ما سواه فهو أثر فعله، وصفة من صفات أفعاله .

فهؤلاء هم المؤمنون بالله ورسوله ﷺ، الموحدون كما أمروا، والشاهدون بما عرفوا على حسب معرفتهم، واختلاف قابلياتهم، وافترقوا في تمييزها، فبعض لم يعرف بالشهود والذوق، ولا بالدليل العقلي، ولكن ثبتت له المعرفة ونسي الموقف، حين قال الله : **(أ لست بربكم)**[٤]، وسيذكرها بعد فأقر وسلم، واعترف وصدق .

---

(١) حيث غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١٠٤ .

(٣) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «الند المشابه في الصفات، والضد المخالف في الذات» . [منه قدّس سرّه] .

(٤) تفسير القمي، ج١، ص٢٤٨، في معنى الآية : ١٧١ من سورة الأعراف .
بحار الأنوار، ج٢٦، ص٢٦٨، ح ٢، باب : ٦ .

وبعض عرف التمييز العقلي، والدليل الآثاري، فميز الحق عن الخلق عن معرفة علمية، وأدلة تعقلية، ولكنه لم يذق المعرفة؛ يعني لم يصل إلى حد اليقين، بل قد ترد عليه الشكوك والشبهات، وإن كان ثابتاً لم يغيره ما يرد عليه .

وبعض حصل له علم اليقين، و لم يصل إلى حد المعرفة العيانية، المعبر عنها بعين اليقين، فهو في توحيده موحد عن كثرة، وهذا أدنى مقامات العارفين .

وبعض شهدها عياناً، فحصل في مقام عين اليقين، فوجد المطلوب قريباً، ليس إلّا عابد ومعبود، فهذا في توحيده موحد عن وحدة .

وافترقت طائفة في وجودها حالاً، فبعض لم يجدها، وبعض وجدها حالاً، وهو مقام حق اليقين، وهذا توحيده عن وجود لا عن[1] توحيد وتمييز وفصل، بل وجد المحب حبيباً، فلم يكن إلّا الرب المتعالي؛ لأنه فقد نفسه عند هذا المشهد، فلم يتحقق عابد ومعبود، بل ليس إلّا الحق .

وافترقت هذه الطائفة في اللذة الحاصلة بحكم الوجود، فبعض لم يجد اللذة الكاملة بالاتصال؛ لأن له حالات يكون فيها في مقام الفرق، فصاحب هذا المقام إنما يحصل في مقام وجوده بالخطرات، لعدم ثباته في هذه الرتبة، فلا تحصل له اللذة .

---

(١) عن غير موجودة في «ن-ج» .

وبعض حصلت له هذه اللذة، وذلك في مقام الفناء المطلق .

وافترقت طائفة في القوة، بظهور الآثار في هياكلهم، وانفعال الأشياء لهم .

واستوت طائفة في ذلك[1] وافترقوا في الاتساع، وهو مقام الجامعية الكبرى لا سواه، فصاحب الجامعية بجميع هذه المراتب، باعتبار مظاهره، وهي المعرفة والمشاهدة والحال؛ أعني الاتصال بالمطلوب، ورؤية المحب عين المحبوب، واللذة بالاتصال، والاتحاد بالمعنى المراد، فكل مقام حجاب لما فوقه، وهكذا إلى حجاب التجلي الأعظم، وهو حجاب الذات لا حجاب ورائه، فكل الحجب لهذا الحجاب، والحق منزه عن كل شيء .

فالحجب الكلية أربعة؛ حجب الأكوان، وحجب الأفعال، وحجب الأسماء، وحجب الصفات .

فالصفات حجب الذات، والأسماء حجب الصفات، والأفعال حجب الأسماء، والأكوان حجب الأفعال، هكذا مصطلحهم في الحجب[2] .

والذي تعطيه الشواهد الآثارية، والدلائل العقلية النقلية، أن

---

(١) في ذلك غير موجودة في «ن–ج» .

(٢) في هامش المخطوطة «ن–ب» : «لأن الصفات الذاتية عندهم غير الذات، وأنها معادن قائمة بها» . [منه قدس سره] .

الأكوان حجب الأسماء، والأسماء حجب الصفات، والصفات حجب الفعل، إذ ليس غير الفعل وقبله إلّا الذات، فهو حجاب الذات؛ لأن الذات ليس له أسماء وصفات تنسب إليه، وتضاف إضاف ذاتية، بل كل ما يضاف وينسب إليه، فهو لفعله وظهوره؛ لأنه العلة لكل معلول، كما قال علي عليه السلام : (**علة ما صنع صنعه وهو لا علة له**)، ففعله هو العلة التامة للمعلولات، والذات منزه عن كل شيء؛ فهو علة العلل[1] .

وأما الأسماء والصفات الذاتية، فهي الذات بلا اعتبار ولا تكثر ما، وإنما التعبير تفهيم كما أسلفناه، ونذكره بعد إن شاء الله، والله أعلم .

[أقسام الفقر]

قوله : «خاطر سنح، فتمادت به المنح، أوقات الفقير في الفقر الحقيقي، أعز وأعلا من الكدر والصفا، إذ الشأن الإلهي خارج عن أحكام الأطوار البشرية، فمن غيرته الحوادث بالصفا والكدر، فليس من الفقر بشيء، لا أعني بهذا التغيّر تغير الجسماني بالذبول والطراوة، ولا التقلب بتغاير الألوان، بل أريد بذلك التغيّر القلبي، المنزل للروح من أفقه العلي الأعلى إلى الحضيض والأزهد الدني الأدنى، والله الموفق

(١) راجع التعليقة رقم (١) في الصفحة رقم (١٢٨) من هذا الكتاب لمفهوم المؤلف قدس سره عن كون الله علة العلل .

لا عارف به غيره» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن الفقر على ثلاثة أقسام؛ فقر إلى الخلق، وفقر إلى الخالق والخلق معاً، وفقر إلى الخالق، كما أشار إليه النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله : (**الفقر فخري وبه أفتخر**)[1]، وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : (**الفقر سواد الوجه في الدارين**)[2]، وقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : (**كاد الفقر أن يكون كفراً**)[3] .

وسئل زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الفرق بين الفقر الذي أشار إليه جده رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ .

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : (**الفقر في اللغة الاحتياج، وهو على ثلاثة أنواع؛ احتياج إلى الله سبحانه، واحتياج إلى الخلق، واحتياج إليهما، فالأول إشارة إلى الأول، والثاني إلى الثاني، والثالث إلى الثالث**) .

فالفقر إلى الخلق سواد الوجه في الدنيا والآخرة، وهو الكفر؛ لأنه كفر الحق، وثبوت الخلق، فلا يرى الله، ولا يثبته عنده، فحاجته

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

(٢) عوالي اللآلي، ج١، ص٤٠، ح٤١ . كشف الخفاء، ج٢، ص٨٧، ح١٨٣٧.

(٣) أصول الكافي، ج٢، ص٣٢٢، ح٤، باب : الحسد . الخصال، ص١١، ح٤٠ . عوالي اللآلي، ج١، ص٤٠، ح٤٠ . وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٦٦، ح٤، باب : ٥٥ .

إلى نفسه، فهو لا يستند إلى الموجود الحق الواحد بالذات، ولا يعتمد عليه، قد أنكر صنعه وتصرفه في ملكه، وادعاه لنفسه، وأنكره أيضاً إذ أنكر صنعه وفعله، وادعى استقلالاً لنفسه .

وأما الفقر إلى الخالق والخلق، فقارب صاحبه أن يكون كافراً كالأول؛ لأنه إذا لاحظ غير الله وجعله شريكاً، فقد كان مشركاً بالله، فهو إذا استند إلى الله، ورجع إليه كان مؤمناً .

وإذا استند إلى الله بالغير، لا من حيث جهة الوساطة التي أمر بها، فهو شرك باطن .

وإذا استند إلى الله مع غيره؛ فهو الشرك الظاهر .

فصاحب هذا أبداً متردد بين الكفر الباطن، والإيمان والشرك، فافهم.

وأما الفقر إلى الله؛ فهو الفقر إلى الله الحقيقي في الاستناد والاعتماد، لا يعرف إلَّا الله، ولا يعتمد على غيره، إذ لا غيره متحقق عنده، ولا يعبد سواه عبادة وعبودية .

فإذا كان العبد هكذا، كان فقره وحاجته غناً، فلا يتغير ولا يتبدل، بل يحب جميع ما يطرء عليه من البلايا والمحن، والقتل والضرب، والسب والصلب، فهو يعلم أن كل ما يجري عليه محبة لله له، وزيادة في مقامه؛ لأنه انكشف له الغطاء، فشاهد أسرار الغيب، واطلع على حقيقة الأمر، فأحب ما وقع لكونه الأصلح له، وقد ورد في الحديث : (**لو كشف الغطاء لما اخترت إلَّا الواقع**)؛ لأنه أصلح

لكم، فكما يجري عليكم فهو منكم، ومن نسبكم وإضافاتكم، وما سألتموه وطلبتموه باختياركم، قال تعالى : ﴿**بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ**﴾[1]؛ يعني أعطيناهم سؤلهم وطلبتهم، وما هو موافق لهم على مقتضى الحكمة، فمن غيرته هذه المحن فليس من الفقرالحقيقي بشيء؛ لأنه لحظ مع الله غيره، و لم يرض بقضائه، فلم يشهد الحق حقاً، إذ لو شهده وعرفه لم يلحظ غيره بكل اعتبار، بل وجهه وجهته إليه سبحانه، حتى أنه روي أن نبياً شكى إلى الله من بلاء أصابه، فأوحى الله إليه ما معناه : (**أتشكوني ولست أهلاً للشكوى، تريد أن أغيّر الدنيا لأجلك، أو أمحو اللوح المحفوظ من أجلك، وعزتي وجلالي لأن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى، لسلبتك ثوب النبوة ولا أبالي؛ لأنك حينئذ لست من الفقر إليّ بشيء، الذي هو مرتبة الأنبياء والأولياء، فيلزمك ألّا تكون نبياً؛ لأنك غير متصف بصفات الأنبياء، ولا مجبول على ما جبلوا عليه، ولا متحمل لما تحملوا**) .

واعلم أن التغيّر الجسماني بطرق الآلام والبلايا من الذبول، والتغيّر في الألوان لا يضر ولا يخدش في الفقر الحقيقي؛ لأن هذا التغيّر لا يكون عن عدم الرضا، بل من لوازم الأجسام، بل هو تسبيح وعبادة بالنسبة إليها، فإذا وافق العبادة الروحية؛ أعني الرضا بالقضاء

(١) سورة المؤمنون، الآية : ٧١ .

والقدر، فقد رجع إلى ربه راضياً مرضياً، وعبد الله سبحانه بجميع مشاعره، وقام بحقيقة عبادته وعبوديته، ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1] .

[مراتب الفقر]

إذا عرفت هذا فاعلم أن الفقر الحقيقي له مراتب، أدناها ما قلناه، وفوقها أن لا يتغيّر ظاهره بالآلام أيضاً؛ يعني أن لا يجد ألم الضرب، والمرض والقتل كمثل باطنه، بل يلتذ ظاهره بالآلام والمصائب، التذاذاً بشرياً طبيعياً؛ لغلبة ظهور النور عليه، فإذا جاع لا تدعوه نفسه إلى الأكل والشرب، كذلك حال العطش، وإنما يفعل ذلك امتثالاً للأمر، وليقوى على فعل ما أمر به من الطاعات، وليتمكن من العبادات، بخلاف أهل المرتبة السابقة؛ فإنهم يتألمون بالآلام، وأهل هذه المرتبة فلا .

وقد روي أن أصحاب مولانا الحسين عليه السلام -[وعلى قاتليه اللعن من الملك العلام][2]- أدركوا هذا المشهد بمشهد كربلاء .

وأعلى المراتب أن لا يدرك لذة، ولا سقماً، ولا اعتبار له من نفسه، ولا يشهد له اعتباراً، وهذه المرتبة تحصل لأولي العزم[3]،

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٣٥ .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ب» .

(٣) قال مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام : (**إنما سمي أولو العزم أولي العزم؟؛ لأنهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أن كل نبي كان بعد نوح**

←....

والأنبياء عليهم السلام حال التجلي الروحي، وهي رتبة الجامع لجميع المراتب صلى الله عليه وآله، وما يظهر مخالفاً لذلك، فلأسباب وأغراض يعرفها العرفاء، وقد أومت إلى ذلك الأخبار في مواضع متكثرة، يعرفها أهلها، فـــافهم إن كنت أهلاً لذلك، وإلّا فحظك التسليم فإنه سلّم يعرج فيه الطالبون، والإنكار حجاب واستكبار .

[الرجاء والخوف والفقر الحقيقي]

قوله : «نور لمع، وفجر سطع، فقلب أمن، وقلب جزع، لا بد للعارف من العبور من منـــزلي الرجاء والخوف، فإنهما قيدان يمنعانك

←...

عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه، وتابعاً لكتابه إلى زمان إبراهيم الخليـــل عليه السلام، وكل نبي كان في أيام إبراهيم وبعده كان على شـــريعة إبـــراهيم ومنهاجه، وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى عليه السلام، وكل نبي كـــان في زمـــن موسى عليه السلام وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه، وتابعاً لكتابه؛ أي : أيام عيسى عليه السلام، وكل نبي كان في أيام عيسى عليه السلام وبعده كان علـــى منهاج عيسى وشريعته، وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله .

فهؤلاء الخمسة هم أولو العزم، وهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام، وشريعة محمد صلى الله عليه وآله لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده إلى يوم القيامـــة، فمـــن ادعى بعد نبينا أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلـــك منه) . [علل الشرائع، ج١، ص١٤٩، ح٢، باب : ١٠١ . عيـــون أخبـــار الرضا عليه السلام، ج٢، ص٨٦، ح١٣، باب : ٣٢] .

عن التحقق بالحقائق الإلهية، التي هي محققة لك -اسم مفعول- فإن كنت ممن يطرء عليه الخوف والرجاء وقتاً ما، أو لفعل ما، أو لشهود أمر ما، فلست من الفقر بشيء، وكذلك إن كنت ترجوا أمراً ما، مما يتعلق بالفتح عليك من أمر الله في الحقيقة، أو من أمر الدنيا والآخرة، أو بما يختص بك مما وعدت به بواسطة، أو بغير واسطة، فأنت مشرك مبعد، ليس لك في الحقيقة قدم، والعارف عندنا من لا يتغير بوجه من الوجوه، حتى[1] لو قدر عليه ذبح ألف ولي لله، أو لو أعطي القطبية لما فرح، أو لو وعد بالغوثية لما رجا، إذ كل متغيّر ليس من الفقر على أصل، فافهم» .

أقول وبالله التوفيق : اعلم أن هنا[2] مرتب على الفصل الذي قبله؛ لأن العارف لا يكون عارفاً حقيقاً، حتى يكون فقيراً حقيقياً إلى الله تعالى، وإلَّا فهو واصف غير عارف، بل كالذي ﴿**يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**﴾[3] .

فإذا كان عارفاً لا بد أن يكون عابراً عن مقام الرجاء والخوف، إلى منزل الفرح والسرور باللقاء، ثم إلى منزل الفناء والبقاء .

ومنزل الخوف على قسمين؛ القسم **الأول** : مقام البوار، وهو بعيد عن الله تعالى أبداً متأصلاً؛ لأنه في مقام المعصية، فإذا فعل طاعة

---

(١) حتى غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) هنا غير موجودة في «ن-ب» .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١٧١ .

ظاهرة لأجل خوفه، لم يكن مطيعاً، بل هو عاصٍ مجبور على صورة الطاعة، فهذا إنما يعبد الله خوف سطوته الظاهرة، وغلبته القاهرة له، كما أخبر -جل شأنه- عن حال المنافقين بقوله تعالى : **﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**(١)، وقال تعالى : **﴿وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾**(٢) .

وهؤلاء أصحاب النار، و لم يكونوا مقصودين هنا بالبحث .

وأما من عبده خوف عذابه، وانتقامه وعدله، فإنه أيضاً بعيد عن الحضرة العلية، لكنه أقرب من الأول، ويرجى به(٣) الفضل من الله تعالى؛ لأنه عبده عن معرفة، فأقرّ له بالعبودية، واعترف بقدرته وقوته، وأذعن له بالعبادة، وعلم أنه صائر إلى أمره -جل اسمه- فهو يعبده من حيث العبودية، لا من حيث الربوبية .

وأما من عبده رجاء لما عنده، لم يكن مطيعاً حقيقياً، بل هو مستأجر، فلو علم عدم حصول الأجر لما فعل .

والرجاء أيضاً قسمان، فإن كان رجاء لما في العاجل من مال وولد وجاه، فهو من القسم الأول من قسمي الخوف .

وإن كان رجاء في الأجل من ثواب، ودخول دار رضاه، والمقام

---

(١) سورة النساء، الآية : ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ١٤ .

(٣) له في «ن-ب» .

في جواده، فهو بعيد عن حضرة الأنس، ومشاهدة الحضور؛ أعني الحضرة العلية، بل هو مرتكس في حضائر الشهوات النفسانية، متجلبب بجلباب الأطماع، مبعد عن مقام الحضور والأسماع[1]، ولذا قال علي عليه السلام : (**ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك**)[2] .

وهذه هي العبادة الخالصة لوجه الله الكريم، التي أشار إليها سبحانه بقوله : ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[3] .

واعلم أن الخوف غير الخشية؛ لأن الخشية ليست خوف العقاب، بل هيئة تحصل للقلب انكسارية وخضوع، عند تصور عظمة الله، فمن تجلى له بعظمة خشيته، قال سبحانه : ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[4] .

[وفي الدعاء : (**لا علم إلّا خشيتك، ولا حكم إلّا الإيمان، ليس لمن يخشك علم، ولا لمن لم يؤمن بك حكم**)[5]][6] .

---

(١) الاستماع في «ن-ج» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٥٧) من هذا الكتاب .

(٣) سورة سبأ، الآية : ١٣ .

(٤) سورة فاطر، الآية : ٢٨ .

(٥) تفسير نور الثقلين، ج٤، ص٣٦٠، ح٦٩ .

(٦) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

وأما الخوف هيبة[١] تحصل للعبد عند تجلي الحق للعبد بصفة الانتقام.

قوله : «فإنهما قيدان –إلى قوله– اسم مفعول»، تقدمت الإشارة إليه، فإن الحقائق الإلهية، لا تكون متحققة لك ما دمت في هذين المنزلين.

قوله : «فإن كنت ممن يطرء ...إلخ»؛ يعني أن الفقر الحقيقي هو أن يكون منمحقاً في حقيقة وجوده من الله، عن تحققه في نفسه في كل حالاته، فلو طرء عليه الرجاء أو الخوف وقتاً ما، أو لشهود ما، أو لفعل ما، فليس من الفقر بشيء، وكأنه أراد بالفقر الحقيقي الجامع، ولهذا قال ﷺ : (**الفقر فخري وبه أفتخر على سائر الأنبياء والمرسلين**)[٢]،وإلَّا فلا ريب أن الأنبياء تحصل لهم هذه الحالة حالاً ما في كل الأحوال، كما أسلفناه سابقاً .

قوله : «كذلك إن كنت ترجو ...إلخ»، كسابقه إلَّا إنه أخص في الموضوع؛ يعني أنه لو كان رجاءه في الله أن يوصله إلى معرفته، فطلب الوصول احتكار على الله، وهو شرك باطن؛ لأنه لم يكن في مقام الفناء هذا مراده، ولذا قال : «والعارف عندنا ...إلخ»، فإنه إذا قدر عليه ذبح ألف نبي لم يتغير؛ لأنه وافق ما في علم الله وإرادته، فلو زنى أو قتل أو سرق، لزمه الثواب والعقاب .

---

(١) الخوف هيبة غير موجودة في «ن–ب» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

أما العقاب فلمخالفة الأمر الظاهر، فعقابه منقطع .

وأما ثوابه فإنه استحق ذلك؛ لأنه إنما فعل[1] ليوافق ما في علم الله وإرادته، فلا يخاف لفعله شيئاً، وقد ذكر هذا المعنى في الإنسان الكامل .

قوله : «ولو أعطي القطبية ...إلخ»؛ يريد أنه لو كان القطب الذي يقوم به الوجود لما فرح بذلك؛ لعدم تحققه في نفسه لنفسه، ولو وعد بالغوثية؛ بأن يكون هو الغوث الذي يرجى، ويشفع لما رجا .

واعلم أن هذا باطل في صورة حق، والحق أن العبد عبد أبداً لا يكون رباً في حال ما .

والفناء الذي يحصل له في مقام وجوده؛ أعني حقيقته لا مع الذات البحت -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً- .

فهو في مقام العبودية، وإن ترقى إلى مقام ربوبيته، فإنها عبودية للحق -جل اسمه- فكمال العبودية أن يتساوى فيه جناحا الرجاء والخوف، فإذا اعتدلا طار إلى الله في سلسلة الطول، وإذا لم يعتدلا لم يطرء، بل يبقى مقيداً بأحدهما؛ أي : الذي غلب عليه من الخوف والرجاء، فلا يزال العبد طائراً صاعداً إلى الله، لا إلى غاية ولا نهاية، كما في الحديث : (**وليس لمحبتي غاية ولا نهاية**)[2]، كل ذلك في صفته .

---

(١) فعل غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣١) من هذا الكتاب .

والذات متعال عن الدرك والإحاطة، إذ لو كان له غاية يصلها الواصلون، ويدركها الطالبون، لكان متناهياً محدثاً .

فالعارف أبداً بين الرجاء والخوف، وكلما كمل كان أشد خوفاً، وأشد رجاء، وقد نقل : (**إن إلياس عليه السلام لما سأل الله في سجوده أوحى الله إليه ارفع رأسك فإني لا أعذبك .**

فقال : أرأيت إن قلت : لا أعذبك ثم عذبتني ألست عبدك)[(١)]، فهو يعلم أن وعده الحق، ولا يخلف وعده، ولكنه لشدة

---

(١) عن المفضل بن عمر قال : أتينا باب أبي عبد الله عليه السلام ونحن نريد الإذن عليه، فسمعناه يتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكى فبكينا لبكائه، ثم خرج إلينا الغلام فأذن لنا فدخلنا عليه، فقلت : أصلحك الله أتيناك نريد الإذن عليك، فسمعناك تتكلم بكلام ليس بالعربية، فتوهمنا أنه بالسريانية، ثم بكيت فبكينا لبكائك؟ .

فقال : (**نعم ذكرت إلياس النبي، وكان من عباد أنبياء بني إسرائيل، فقلت : كما كان يقول في سجوده، ثم اندفع فيه بالسريانية، فلا والله ما رأينا قساً ولا جاثليقاً أفصح لهجة منه به، ثم فسره لنا بالعربية، فقال : كان يقول في سجوده : أتراك معذبي وقد أظمأت لك هواجري، أتراك معذبي وقد عفرت لك في التراب وجهي، أتراك معذبي وقد اجتنبت لك المعاصي، أتراك معذبي وقد أسهرت لك ليلي؟ .**

قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك .

قال : فقال : إن قلت : لا أعذبك ثم عذبتني ماذا؟ ألست عبدك وأنت ربي؟ .

....←

خوفه من مقام ربه، لا خوف عقابه، كما أخبر سبحانه بقوله : ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[1]، يخافه .

فالأولياء نهاية رجائهم القرب من الله، وغاية خوفهم البعد عن الله، كما قال علي عليه السلام : (**فهبني يا إلهي وسيدي ومولاي وربي، صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك، وهبني صبرت على حر نارك، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك**)[2]، فهو أبداً يخشاه، ولا يحكم عليه بحال، ﴿**أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾[3] .

وقوله : «لو قدّر عليه ذبح ألف ولي لله»، مبني على مذهبه؛ من أن العبد غير مختار، وأن الإرادة إرادة حتم وعزم، وهو باطل، وقد برهن عليه في مواضعه، بالأدلة العقلية والآثار؛ من القرآن والأخبار، وإنما تركناه خوف التطويل .

...←

قال : فأوحى الله إليه أن ارفع رأسك، فإني غير معذبك، إني إذا وعدت وعداً وفيت به) . [أصول الكافي، ج١، ص٢٥٤، ح٢، باب : أن الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها] .

(١) سورة النازعات، الآية : ٤٠ .

(٢) مصباح المتهجد، ص٨٤٧ . إقبال الأعمال الحسنة، ج٣، ص٣٣٥ .

(٣) سورة الأنعام، الآية : ٦٢ .

وقد بين ذلك والدي[(١)] -أبقى الله مهجته- في عدة من رسائله، خصوصاً في شرح رسالة القضاء والقدر[(٢)]، للسيد شريف، وفي شرح رسالة الهادي عليه السلام لأهل الأهواز فلتطلب هناك .

[عود على بدء في أقسام الوجود]

قوله : «شمس ظهرت، في أفلاك بهرت، اعلم أن الوجود كله

(١) هو : «الشيخ أحمد بن زين الدين، بن الشيخ إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شمروخ آل صقر، القرشي الأحسائي المطيرفي.
وُلِدَ قدس سره في المُطَيْرَفي من قرى الأحساء، في شهر رجب عام: «١١٦٦هـ»، وبها نشأ وترعرع تحت رعاية والده الشيخ زين الدين، وبانت عليه علامات النبوغ منذ نعومة أظفاره، فكان يذكر ما جرى في بلاده من الحوداث، وعمره سنتان، وختم القرآن وعمره خمس سنين، وبدأ بدراسة النحو قبل أن يبلغ الحلم، له عدة كتب أهمها وأشهرها : شرح الزيارة الجامعة، وشرح الفوائد، وشرح العرشية، وشرح المشاعر، توفي وهو في سفره الأخير إلى بيت الله الحرام، وكان بصحبته ولداه الشيخ علي، والشيخ عبد الله، وبقية عائلته، وبصحبته أيضاً بعض تلامذته وأصحابه وغيرهم، وفي الطريق أصيب بمرض، فتوفي قدس سره في مكان يقال لَه : «هدية» قُرب المدينة المنورة، وكان ذلك ليلة الجمعة أو يوم الأحد «٢٢ ذو القعدة ١٢٤١هـ»، ومادة تاريخه مختار .
ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة فجهزه نجله الشيخ علي نقي وصلى عليه، ثم دفن في بقيع الغرقد، مجاوراً لقبور الأئمة عليهم السلام، في الطرف المقابل لبيت الأحزان» . ومن أراد الكثير من ترجمته فاليراجع كتابه شرح العرشية .

(٢) لقد تم طباعة هذه الرسالة في سنة «١٤٢٦هـ» .

شيء واحد، وذلك هي واحدية الحق تعالى، فالحق هو الوجود المطلق، ومن هنا يتجلى عليك سبحانه في كل موجود؛ لأن الوجود من حيث هو وجود لازم لكل الموجود، بل هو عينه، إذ لا فرق بين الوجـــود والموجود إلَّا في الفهوانية، وعلى الحقيقة هو عينه، فالحق عـــين كـــل شي، وهو الواحد على تعدد الأشياء، وما أحسن قول القائل :

ومـــا الوجـــه إلَّـــا واحـــد غـــير أنـــه
إذا أنـــت عـــددت المرايـــا تعـــدداً بـــدأ
فالجهـــات الـــست تحـــسب أنـــه ســـواها
ولـــو لا الوجـــه لم يبـــد مـــا بـــدأ

فمتى لم تعرف الوجود بهذه المعرفة، لم يتجلى عليك الحق فيها، وبقيت وراء حجب الأكوان، ومتى ما لم تعرف الحـــق وتـــشهده في الوجود كله، بل في الموجودات، بل في كل معنى وصورة وحكـــم، وروح وجسم، إلى غير ذلك مما تعلم وتشهد، لم تعرف نفسك، ومتى لم تعرف نفسك لم تعرف ربك، فمعرفتك للوجـــود أنـــه للحـــق، كالصورة للمعنى، أو كالجسم للروح، شـــهدت المـــراد، فإنـــك إذا شهدت أن الوجود مظهر، والحق ظاهر فيه، تترقى إلى شهود الحـــق تعالى نفسه بنفسه في مظاهره، وبهذا الشهود ترتقي إلى وجوده فيـــك لك بك عنك، وبهذا[1] الوجود تعرف نفـــسك بالإلهيـــة الكـــبرى،

---

(١) ولهذا في «ن–ج» .

فتتجلى صفاتك من باطنك إلى ظاهرك، وبهذا التجلي تعرف ربك، الذي هو عين نفسك، فتكون ممن عرف نفسه بأنه ربه، فاعرف ربك بأنه نفسه .

وبهذه المعرفة تعطى كل صفة من صفاتك في الإلهية حقها، حال كونها متحققة بسائر الأسماء الكمالية، والصفات الجمالية والجلالية[١]، والمراتب الحقية والخلقية، وبهذا التحقق تنفرد في وجودك لك، فتتجلى بذلك في ذاتك بالتجلي الذاتي، ثم تخاطب نفسك بنفسك، ﴿**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾[٢]، فتجيبك وحدانيتك ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾[٣] .

أقول وبالله التوفيق : إن الوجودات ثلاثة، كما سبقت الإشارة إليه[٤]؛ الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيد .

فالوجود الحق واحد بالذات والصفات؛ لأنها حقيقة الذات، فلا يقبل التعدد والتكثر لذاته[٥] ولا لصفاته، إذ هي عين ذاته، وإلَّا لاختلفت[٦] جهاته، فهو الواحد الذي وجوده عينه، وحقيقة الوجود الذي لا يشوبه نقص، ولا يقع فيه لبس، ولا حد له ولا رسم، إذ لا

(١) والجلالية غير موجودة في «ن-ج» .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٤) راجع الصفحة رقم (١٣٦) من هذا الكتاب .

(٥) لذاته غير موجودة في «ن-ج» .

(٦) لاختلف في «ن-ج» .

حيثية فيه، ولا مفهومية له، فهو حقيقة الوجود؛ لأن حقيقة الوجود ما يكون وجوده واجباً لذاته، بلا اعتبار ولا استناد لشيء أزلي قديم، والأزل ذاته، والقدم عينه .

فالوجود الأزل لا يحل في الوجود الحادث، ولا يحله الحادث، ولا تعلق له به إلَّا تعلق تكوين[1]، هو نفس الحدوث، فهو في أزله قبل الإيجاد، ليس ثمة في وجوده غيره، إذ وجوده عينه، لا أن وجوده غيره، وليس أزله ظرفه، بل هو حقيقة الأزل، فليس[2] ذا خلاء فتحله الممكنات، ولا ذا فرج فتخلله الكائنات قبل الإيجاد، وكذا بعده (**كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما كان، لم يتغير بانتقال، ولم يسبق له حال حالاً**)[3] .

فلا يصح أن يكون وجوده واجب الوجود لذاته عين كل شيء، وإلَّا لكان كل شيء واجب الوجود لذاته، حتى المشخصات الخارجية، والأعراض اللازمة والفارقة، أو النسب والإضافات، وإلَّا لم يكن عين كل شيء، فإذاً لا يكون الوجود بموجبه شيئاً واحداً هي واحديته تعالى، بمعنى نسبة الموجودات إلى الوجود نسبة حقيقية، أو تأصلها فيه

---

(١) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «أعني بالتعلق النسبة؛ أي : لا نسبة بينهما من جميع النسب إلَّا نسبة الإنفعال» . [منه قدس سره] .

(٢) الأزل فليس غير موجودة في «ن-ج» .

(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**كان الله ولا شيء معه، وكذلك الآن**) . [بهامش عوالي اللآلي، ج١، ص٥٥] .

تأصلاً ذاتياً؛ لأنه يلزم منه إما أن يكون وجود الحق غير بسيط الحقيقة، كما قالوا ولو باعتبار ما، أو يكون الوجود أعم من حقيقة واجب الوجود لذاته، فيحتاج إلى مميز، فلا يكون صرف حقيقة الوجود، وهم لا يقولون به، على أنه لو لم يكن صرف حقيقة الوجود، للزم استناده إلى صرف حقيقة الوجود؛ لأنه مبدأ كل موجود، وإلَّا لم يكن موجوداً أصلاً، ولا يصح أن يكون واجب الوجود أعم من حقيقة الوجود؛ لأن تحقق كل شيء بوجوده، إذ غير الوجود إنما يكون ثابتاً متحققاً بالوجود، فهو تعالى حقيقة كل ذي حقيقة؛ بمعنى الذي حقق الحقائق، وليس له حقيقة غير وجوده الذي هو حقيقة الوجود وإلَّا لكان مركباً، فلا يكون حقيقي الوجود، فيجب استناده إلى صرف حقيقة الوجود .

فوجود الحق حق الوجود، فليس مشتركاً مع غيره في وجوده، فلم يكن بعضاً للوجودات، ولا الوجودات بعضه، بل وجوده نفسه لا باشتراك، لأن كل ما سواه إنما هو صفته، وهو علة لصفته، والصفة لا تكون من سنخ الموصوف، والمعلول لا يكون من جنس العلة، فلم يكن في وجوده غيره فيصح أن يكون عينه، وليس ثمة شيء هو عينه فيصح أن يبرز عنه، فيكون في الظهور غيره؛ لأن الأزل لا يكون حدثاً بكل اعتبار، فكل ما سواه فهو فعله، وأثر صنعه، وتجليات ظهوره، وليس الفعل عين الفاعل، ولا الأثر عين المؤثر بحال، وإلَّا لم يكن فعل قائم بنفسه، ولا أثر متحقق من حيث ظهوره .

فإذا كان حقيقة الوجود الذي لا يشوبه غيره هو الحق -جل اسمه- فاطلاق اسم الوجود على غيره مجاز، من باب اطلاق اسم العلة على المعلول، واطلاق اسم الموصوف على الصفة، فكلما أطلق عليه اسم الوجود غيره تعالى فهو مجاز ذي الحقيقة، لا باعتبار الاصطلاح فقط، بل أنه إنما استحق الوجودية فكان موجوداً، لنسبته لذي الحقيقة، فوجوده تابع لوجود حقيقة الوجود، لا بمعنى أنه جزؤه أو جزئيه، وإلّا لانتفت الوحدة عن ذاته؛ لأن وحدته ليست بنوعية ولا جنسية، ولا وحدة الانبساط والشمول، وإلّا للزمته الكثرة بوجه ما ولو من حيث التعلق، ولأنها كلها صفات خلق ولا شخصية، وإلّا للزمته الحدود، نعم وحدة شمول، والإحاطة صفة فعله، وهي الوحدة الحقيقية .

وأما وحدة الذات، فهي الوحدة الحقية، فلا تكيف ولا تعرف، وإنما حظنا نفي اللوازم عنها والملازمات، وهو موجب لعدم دركها ومعرفتها، فافهم .

واعلم أن كل بسيط حقيقة شيء يلزمه شموله له بالحق -جل اسمه- ليس بسيط حقيقة شيء سوى ذاته، بل قولنا : بسيط الحقيقة لا يجري عليه ، فراجع ما سبق يتبين لك الأمر .

وأما الوجود المطلق الذي هو عالم الأمر، فشموله لسائر الموجودات شمول إحاطة وقيومية، ليس كشمول الكلي، ولا الكل، ولا الجنس، ولا النوع، ولا انبساط، مما يقتضي وجوداً جزء، أو

جزئيات، أو عروض أو معروضية، لأن ذلك يقتضي نفـــي الوحـــدة الحقيقية، لثبوت الكثرة ولو باعتبار ما .

فشموله على ضرب من الشمول، يعرفه أفراد العرفـــاء، وهـــو حقيقة الشمول؛ أعني شمول إفاضة، وتحقق أثر، وإحاطة قيومية، وكل ما سواه فشموله لما تحته، إنما هو باعتبار ظهوره، ووجوده في أفراده، وانقسامه إليها أو إنبساطه عليها، وكل هذا نفي حقيقة الشمول .

وأما الوجود المقيد فشموله لسائر الموجودات شمول إنبـــساط، فهو صرف حقيقة الموجودات المقيدة .

إذا عرفت هذا شهدت الحق حقاً ظاهراً بفعله وأثره في الخلـــق، والخلق خلقاً، ليس بينهما اتصال مشابهة وارتباط، ولا انفعال مباينة، ولا علاقة مشتركة لهما في أصل الوجود، بل وجود قائم بنفسه قبـــل الخلق؛ لأنه نفسه ومعلوله أثر صنعه كما سبق .

والشواهد الآثارية ناطقة بذلك، فإن الشمس قائمـــة بنفـــسها، ووجودها ثابت لها في رتبتها قبل ظهور أشعتها، وكذا بعـــد بـــروز أشعتها.

ولا ريب أن أشعتها ليست من جنسها ولا من ســـنخها، ولا متصلة بها اتصالاً حقيقياً؛ لأن الاتصال الحقيقي لا يكون إلّـــا بـــين شيئين؛ من جوهر واحد ولو في الجنس، ولا منفصلة عنها انفـــصالاً حقيقياً؛ لأن الانفصال الحقيقي لا يكون إلّا بين جوهرين متبـــاينين، والتباين جهة امتناع تنافي جهة الاقتضاء، وأيضاً ليس وجودها قبـــل

ظهور أشعتها، زائداً عليها في رتبتها حتى يكون شاملاً لغيرها، وإنما غيرها إيجادها وأثرها، وكذلك صفاتك من قيام وقعود، وأكل وشرب، وحركة وسكون، كلها صفات أفعال، ليس وجودها من سنخ وجودك، وإنما هي أثرك وفعلك، وكل ما في الوجود شاهد على أن الله سبحانه ليس مشابهاً لخلقه في الذات، ولا خلقه مشابه له، ولا مخالف له في الصفات، ولا من جنسه؛ لأن الأثر لا يخالف صفة مؤثره، قال تعالى : ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[1].

وتعلم أن كل مؤثر محيط بآثاره إحاطة قيومية، وشمول إضافة، وأنه ظاهره بالأثر نفسه لا بذاته، فيشهد أثره فيه به لا بالمؤثر، وهذا هو الشهود الحق، ﴿**وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ**﴾[2]، وما سواه فباطل، نعوذ بالله من زلل القدم، وسبات العقل، وسأبين لك الفناء الحق بتجلي الحق سبحانه للخلق، فاعلم أنه سبحانه إنما يتجلى لخلقه بصفة من صفاته، التي هي حقيقة المتجلى له، إذ هو معنى التجلي، فلا يدرك المتجلي إلَّا ما منه، ولا يظهر له إلَّا[3] به، فكل مدرك لك إنما تدركه

---

(١) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة النحل، الآية : ٦٠ .

(٣) إلَّا غير موجودة في «ن–ج» .

بما منه لا بغيره، بل والشيء إنما يدرك نفسه بصفتها، فالحق -جل اسمه- غيب لا يقع عليه الإدراك بحال، فهو الوجود الحق، والمجهول المطلق .

وأما المعرفة فواقعة على الصفات، فإذا تجلى لك فإنما يتجلى بك، إذ التجلي حجاب بين المتجلي والمتجلى له، ولا يمكن الفناء والوصول إلَّا بعد التجلي، ونفس التجلي ظهوره في صفة من صفاته؛ أعني حقيقة المتجلى له، كما قال علي عليه السلام : (**تجلى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها**)[١]، فإذا تجلى لك بك، يكون فناؤك في تلك الصفة المتجلي بها، التي هي حقيقتك، والمربية لك، وبها قوامك، وإليها معادك، فحينئذٍ تنال كل صفة من صفتك، من الإلهية ما تستحقه بحسب قابليتك، فتخاطب بمن (**عرف نفسه فقد عرف ربه**)[٢]، حين ألقى في هويتك مثاله؛ أعني الصورة الإنسانية، والهيكل الذي بناه بيده، فتكون ممن شهد نفسه بأنه ربه، وربه بأنه نفسه .

إذا تحققت ما قلت لك، تبين لك أن للحق -عز اسمه- تجليات بعدد أنفاس الخلائق، وكلها حجب بينه وبين خلقه، ولا يخترق هذه الحجب إلَّا صاحب البرزخية، فإن له الفناء المطلق الذي هو مقام الجامعية الكبرى، فهو الوجه الباقي بعد فناء كل شيء، والظاهر لكل

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٤١) من هذا الكتاب .

شيء، والمتجلي في كل شيء، وذلك هو الإلهية الكبرى، التي هي مجمع الصفات الجمالية والجلالية، والأسماء الكمالية، ففي هذا التجلي الكامل يخاطب نفسه لنفسه، ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾(١)، فيجيب نفسه ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(٢) .

وهذا التجلي الصفاتي، لا التجلي الذاتي؛ لأن التجلي الذاتي لا كيف له، ولا عبارة عنه، ولا يصح إطلاقه عليه كما سبقت الإشارة إليه، فيصح في مقام التجلي الصفاتي الكامل التمثيل بقوله :

وما الوجه إلَّا واحد غير أنه
إذا أنت عددت المرايا تعدداً بدأ
فالجهات الست تحسب أنه سواها
ولو لا الوجه لم يبد ما بدأ

فالحق يتجلى في الوجه التجلي الكامل، ولسائر الموجودات بالتقابل، إذ ليس للخلق إلى الحق إلَّا جهة واحدة؛ هي نفس مبدأ الفيض، فكل الموجودات متوجهة إلى تلك الجهة، قال الله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾(٣) .

---

(١) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٢) سورة غافر، الآية : ١٦ .

(٣) سورة البقرة، الآية : ١١٥ .

فكل من يدعي الفناء الكامل، غير صاحب الجامعية فهو جاهل، قد ضرب بينه وبين المعرفة بألف ألف حجاب، فذهب في عماء يخبط خبط عشواء، وربما يظن من وقف على عبارات أبرزها من خيالات فاسدة، أنهم قد وصلوا إلى مرتبة الفناء المطلق، وأين الثريا من يد المتناول، بل ذلك حقيقة الإلحاد، الذي نهى الله عنه بقوله : ﴿**وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[١]، وهو ظاهر لمن استنار قلبه بضياء المعرفة.

[الوجود المطلق]

وأما الوجود المطلق؛ فهو العلة للموجودات، المعبر عنه بعالم الأمر، والنفس الرحماني، الساري في جميع الممكنات، والرحمة الواسعة، والحق المخلوق، والظاهرية المطلقة، والأزل[٢] المستند إلى أزل الآزال، فليس إذاً قائماً بنفسه، بل قائم بموجد؛ لأن تحققه ووجوده بغيره، وليس أيضاً إيجاده بواسطة غيره، فيكون ذا جهتين، فيحتاج إلى وساطة الجهة .

ولما كان الواحد من كل جهة، لا يبرز عنه إلّا واحد من كل جهة هي جهة البروز، وجب أن يكون واحداً لا جهة فيه، ولا كثرة تلزمه، كذا قيل .

---

(١) سورة الأعراف، الآية : ١٨٠ .

(٢) في هامش المخطوطة «ن-ب» : «الأزل؛ هو الذي لا أولية له، وأزل الآزال؛ هو الذي يستند إليه كل شيء، ولا يستند إلى شيء» . [منه قدّس سرّه] .

وبعض قال متقصياً عن هذا الإشكال، خوفاً من لوازم الجبر، وفراراً من قدم العالم؛ لأن الفاعل إذا كان علة تامة، وهو واحد بالذات، لزم ألّا يتخلف المعلول عن علته أزلاً[1]، فيكون المعلول قديماً في الأزل، فقال : إنما قلنا : إن الواحد من جهة لا يبرز عنه إلّا واحد، كذلك لعدم قدرة البارز؛ لأنه لو كان البارز أكثر من واحد، فلا يخلو إما أن يتحدا رتبة وجهة أو يتخالفا، فإن اتحدا كانا شيئاً واحداً فلا تعدد، وإن اختلفا كان المتقدم رتبة هو البارز الأول .

وأيضاً لو اختلفا في الجهة، لما كان بينهما جهة اتصال، حتى في جهة التضاد والتناقض؛ لأن التضاد والتناقض بينهما جهة وجودية، جامعة بها، حصل التضاد والتناقض، ولذا لم يكن للحق ضده ولا نقيض؛ لأن المصدر واحد، وتلك الجهة الجامعة هي جهة الصدور الخاصة؛ [أي : ولعدم وجود الجهة الجامعة بين الحق والخلق، لم يكن له ضد ولا نقيض][2] .

وقولي : لأن المصدر واحد، واحد للتقليل لقولي : لأن التضاد والتناقض بينهما جهة وجودية جامعية .

والتضاد والتناقض إنما حصلا من جهة نفس الصادرين، لا من جهة الفاعل .

---

(١) يتخلف المعلول عن العلة في «ن–ج» .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

وأيضاً الإمكان لا يسع إلّا صادراً واحداً، إذ إفاضة الكمال المطلق كاملة شاملة، وإلّا لنقصت الإفاضة، وذلك موجب لنقص المفيض، وليس إلّا وجوب وإمكان، فالوجوب هو القديم، والإمكان [هو] الحدوث، فإذا عجز الإمكان عن شمول صادرين لما قلنا أن الأول قد ملأه و لم يبق ما يصدر فيه صادر آخر لم يكن ذلك عجز في الفاعل، بل الفاعل قادر مختار، وهو حق، لكن الحق الحقيقي عدم صحة اطلاق مثل هذه العبارات على القديم؛ لأنها صفات خلق لا صفات حق، فكل ما يطلق على الخلق لا يجوز وقوعه على الحق إلّا مجازاً وتعبيراً .

فقولهم : الواحد من كل جهة، يلزمه تشخص الجهة، فتكون وحدته شخصية، وهو باطل لما أسلفناه فراجع .

وأيضاً لو كانت الجهة التي عبر عنها بالوحدة من كل جهة شخصية، لما برز عن الفاعل إلّا واحد كذلك، والبارز أيضاً لا يبرز عنه إلّا واحد كذلك وهكذا .

وينتفي التقابل والتضاد، والاختلاف ذواتاً وإعراضاً، وصفات بالضرورة .

فالكثرة والاختلاف لا بد وأن يكون منشؤها كثرة أو وحدة جامعية، وهي وحدة الشمول، والوحدة بمعانيها لا تطلق على الذات، نعم مصدر الأشياء وحدة الشمول والإحاطة، وهي فعله وصنعه فلا جبر، فافهم .

إذا عرفت هذا فاعلم أن العلة للمصنوعات صنعه وفعله تعالى، كما قال علي عليه السلام : (**علة ما صنع صنعه، وهو لا علة له**) .

وقولهم : لا يختلف المعلول عن العلة أزلاً، مغالطة في الحقيقة، مبني على أن الأزل ظرفه تعالى، وأن المعلول إذا لم ينفك عن العلة كانا أزليين، وإن استند إلى العلة، وهو باطل؛ لأن الأزل نفسه، والمعلول هو الحدوث، فلو سلمنا أنهما غير منفكين، إنما يكون ذلك في نفس العلية والمعلولية .

ولا شك أن الفاعل من حيث هو فاعل، لازمه الفعل من حيث الفاعلية لا من حيث الذات، فوجودهما متمايزان فلا معية؛ لأن المعية إما أن تكون في الوجود والذات فيتحدان، فلا علة ولا معلول؛ لأن هذا حكم البسائط .

وإما أن يوجد في ظرف واحد فيشملهما فيتكثر، وليس الأزل إلّا ذاته، فلا معية مساوقة في الوجود، وإلّا لما صح الاستناد، نعم معية الظهور ثابتة، وليس الظهور للذات، بل الظهور لفعله، ظهر للأشياء بالأشياء لا به تعالى، كما قال علي عليه السلام : (**تجلى لها بها، وبها امتنع منها**)(١) .

والدليل الآثاري شاهد بذلك، وذلك كالصورة في المرآة، وشعاع الشمس من الشمس، والفعل من الفاعل، فانظر بعين مستبصر منصف .

---

(١) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٠) من هذا الكتاب .

[الوجود المقيد]

وأما الوجود المقيد، فهو ظلال الوجود المطلق، وأثره وصنعه، وهو ذو جهات، وملزوم الأعراض والصفات، فيكون فيه التقدم والتأخر، والغنى والحاجة، والكلية والجزئية، والظاهرية والباطنية؛ لأنها كلها من لوازم الماهية، والماهية قيد هذا الوجود، فهذا هو الوجود المشوب بالنقص المطلق، المعروض للماهية .

واعلم أن عروض الماهية له ليس عروضاً خارجياً، كعروض الألوان للأجسام، فتكون النسبة بينهما ارتباطية، فيلزم تقدم المعروض على العارض خارجاً، وهو محال؛ لعدم تقوم الوجود المقيد في الخارج بدون الماهية، لأن التقييد لهذا الوجود إنما هو الماهية، وإلَّا لم يكن مقيداً، فلم يكن هو هو .

وأيضاً لا يحصل التمييز بين الموجودات إلَّا بالماهيات، وإلَّا لكان ما به الاتفاق به الاختلاف؛ لأن هذا الوجود نسبته إلى سائر أفراده، نسبة إنبساطية كما قلنا سابقاً .

وأما الماهيات فلا يصح كونها معروضة له كذلك؛ لعدم تحققها بدونه وكينونتها، بل قبوله لها نفس تحققه في نفسه من حيث هو هو .

فالنسبة بينهما اتحادية، فهما شيء واحد في الظهور، بمعنى أنه إن أخذ من حيث نفسه، وتشخصه [من حيث هو هو، لا من حيث استناده لغيره، فهو الماهية التي ما شمت رائحة الوجود، وهي المسماة بالأعيان الثابتة عندهم، فإنها من حيث امتيازها عن الوجود راجعة إلى

العدم(١)، ومن حيث التعين الوجودي هي عين الوجود إذا أخذ من

(١) مؤلفنا الشيخ علي نقي قدّس يعرض رأيه في الماهية، وهو عينه رأي والده، حيث أكد بأن الماهية مجعوله وأصلية، وهي رغم كونها مجعولة وأصلية غير زائدة على الوجود، بمعنى لا تضاد الوجود حتى يلزم الدور التسلسل، كما تدعي المدرسة المتعالية في طروحاها، فهي مجعوله مخلوقة بجعل خاص، غير جعل الوجود، كما صرح الله سحانه في القرآن: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ...﴾**، [سورة آل عمران، الآية: ٦]. وفي آية أخرى: **﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا...﴾**، [سورة النبأ، الآية: ١٠].
أما في الحديث الشريف فكما صر مولانا سيد الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له حيث قال: (**لا تقل ما هو؛ لأنه خلق الماهية**). [بحار الأنوار، ج٣، ص٢٩٧، ح٢٤].
ولكن هذه الماهية رغم أنها أصلية فوجودها بالوجود، بمعنى أوجدت بالوجود، فهي صفته وانفعاله، ولولا انفعاله لما تحقق في الواقعية، ولكنها من حيث ذاتها، لا وجود مستقل لها دون الوجود، لذلك قال: هي من حيث امتيازها عن الوجود راجعة للعدم، كما قالوا أي: أصحاب المدرسة المتعالية، ولكن رغم كونها لا تستقل عن الوجود إلّا أنها موجودة بالوجود، بمعنى مخلوقة منه، كما النّحاة حين يخلق الصورة في الخشبة الخام، فهو لم يأتِ بخشبة زائدة عليها، بل خلق الصورة من الخشبة، فهي كما تشهد حواسنا أي الصورة التي في الخشبة الخام، كانت معدومة، فأوجدها الصانع النّحاة، لذلك يصح أن نقول: لولا تعلق جعل النّحاة بالصورة لم توجد في الخشبة، وكذلك الصورة قبل جعل النّحاة لم تكن موجودة، بل وجدت بعد الجعل، ورغم ذلك فهي لا تملك وجوداً مستقلاً عن الخشبة، لذلك قال قدّس: «فإنها من حيث امتيازها عن
←....

حيث ربه، منه بدأ وإليه يعود، ومن حيث][1] نفسه لا شيء، وهو المعني بقول علي عليه السلام: (**صحو المعلوم مع محو الموهوم**)[2].

فإن الشيء من حيث نفسه موهوم لا حقيقة له، فإذا ألبست الماهية خلعة الوجود بحسب قابليتها، قامت به قيام اتحاد، ورجعت مستضيئة بنور الإيجاد، فهي القابلة للإيجاد؛ لأن تحقق أثر الفاعل لا يبرز إلّا بالقابل.

وليس قولنا: إنها [قابلة للإيجاد، وأنها ألبست خلعة الوجود، أن العارض للماهية، وأنهما][3] غيران متمايزان، بل المراد بالقبول نفس تحقق الشيء بالله، فإذا أخذ من حيث موجده سميناه وجوداً وموجوداً حقيقياً.

ومن حيث نفسه ماهية، ومعدوماً لا مطلقاً؛ بمعنى أنه ليس بشيء، بل بمعنى أنه إنما أوجد بتبعية الوجود بالمعنى السابق، [بمعنى أن الله أوجدها لا لغرض منوط بها، وإنما أوجدها لاحتياج الوجود إليها

←...

الوجود راجعة إلى العدم»، فتدبر جيداً. [هذه التعليقة تمت بقلم الشيخ سعيد محمد القريشي].

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج».

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (٣٨) من هذا الكتاب.

(٣) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ب».

في التقوم، وهذا معنى أوجدها بتبعية الوجود][1] .

فلكل منهما جعل، لا أن جعل الماهية بتبعية جعل الوجود، لا كما يقوله مشائخ الصوفية[2]؛ من أنها غير مجعولة بجعل جاعل، بل هي الحقائق الثابتة، وعالم الغيب، وحضرة الغيب، والعالم الربوبي، لأنها مقتضى الصفات بكينونة الذات على ما هي عليه، فلا هي عينه ولا غيره، علم ذاته بذاته، وعلمها بكينونة ذاته .

وعباراتهم شاهدة بذلك لمن يعرف مراداتهم، وهو باطل، إذا تحقق ذلك لديك عرفت أن الوجود هو الذي قامت به الماهيات، فسبق الوجود لها سبقاً ذاتياً حقيقياً، به تحققت، وإليه استندت، فشيئيتها به، وشيئيته بالشيء، إذ الوجود المقيد ظل الوجود المطلق .

فالمعية هي معية الظهور لا غير؛ لأن الوجود دائم الاتصال، بل كان به الاتصال في كل الأحوال، ولا يصح أن يكون الوجود عارضاً للماهيات، إذ لو كان كذلك كانت قابلة له، فتكون سابقة عليه، فتحتاج إلى الوجود، وإلّا لم تكن، إذ ليس إلّا الوجود، فيكون حينئذٍ الوجود سابقاً على الوجود، وهو غير معقول .

وللقوم في هذا المقام مباحث عديدة، تشتمل على قواعد حكمية، ومسائل جدلية، مذكورة في مواضعاها .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

(٢) تقدم ترجمة بعض معتقدات هذه الفرقة في الصفحة رقم (١٧) من هذا الكتاب .

فظهر مما تقدم أن الوجود بالحقيقة، هو صرف حقيقة الوجود، وهو الوجود الحق وما سواه فبتبعية وجوده تعالى[١]، كان له حظ في الشيئية، (**إذ كان الشيء من مشيئته**)، كما قال علي عليه السلام[٢]، واستحق إطلاق الوجود عليه، فافهم .

(١) قال الشيخ علي نقي قدس سره : «إن الوجود بالحقيقة هو صرف حقيقة الوجود، وهو الوجود الحق»، والذي يتبادر إلى الذهن ابتداء أن مؤلفنا قصد نفس ما عنته المدرسة المتعالية من أن صرف حقيقة الوجود هو واجب الوجود جل الله عن ذلك؛ لأن الفلسفة المتعالية قصدت في مفهومها عن صرف حقيقة الوجود حين أخذك لحصة من الوجود؛ كالشجرة مثلاً وألغيت ماهيتها المميزة لها عن بقية حصص لوجود الأخرى، فليس هناك سوى صرف حقيقة الوجود الذي هو عين وجود واجب الوجود، وهذا مبني على نظرية وحدة الوجود التي يرفضها مؤلفنا، بل قصده من صرف حقيقة الوجود الذي هو وجود الحق، أن الوجود حقيقة بالاستقلال عن غيره، ووجوده قائم بنفسه هو الوجود الحق، وصرف الوجود حقيقة لا غيره، وغيره قائم بفعله قيام صدور، وفعله هو العلة التامة له، كما شرح في الرسالة العلمية «مخطوط» ص١٠، وفي هذا الكتاب حين تعرض لعلة العلل، لذلك غيره لا يستحق أن يكون صرف حقيقة الوجود، وهو في هذا الكتاب ذكر أنواع الوجود بشكل صريح غير قابل للبس، حين ذكر ثلاثة أنواع للوجود : الوجود الحق، والوجود المطلق، والوجود المقيد، وإلَّا فهو حتماً لا يؤمن بوحدة الوجود، وفروعها الباطلة الملحدة» . [هذه التعليقة تمت بقلم الشيخ سعيد محمد القريشي]

(٢) مصباح المتهجد، ص٥٢٣، خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير .

[العالم محدث بكل الاعتبارات]

قوله : «بحر متلاطم، ووبل متراكم، العالم محدث باعتبار ظهوره، وأما باعتبار وجوده في العلم[1] الإلهي، فإن حكمه حكم الأسماء والصفات الإلهية، فإن حكمت بقدمها ووجودها، فاحكم بقدم العالم ووجوبه، ولم يتحقق للعقلاء علمه إلَّا بعد معرفة ثلاث مسائل .

أقول : اعلم –وفقك الله تعالى– بأن العالم محدث بكل اعتبار ومعنى، فليس له في البدء والكون اعتبار إلَّا اعتبار هو حدوثه، وكونه المعبر عنه بوجوده، فلا تتحقق له في الأزل، وإلَّا لكان قديماً لم يزل في قدمه، فلم يكن حادثاً ولو باعتبار البروز؛ لأن البروز ليس هو الحدوث، وإنما الحدوث حقيقة إيجاد الشيء بعد أن لم يكن، إذ القديم قديم في شأنه، والحادث حادث في مكانه، فالقديم نفس القدم بلا اعتبار، فلا يكون القديم حادثاً بكل اعتبار، وسيأتي إن شاء الله تمام البحث في شرح المسائل الثلاث، فانظره بعين منصف مستبصر، طالباً للحق، قاطعاً لعلائق التقليد، غير مشوب عقله بأقوال الرجال، تجدها بيضاء صافية، ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِدًا**﴾[2] .

---

(١) العالم في «ن–ب» .

(٢) سورة الكهف، الآية : ١٧ .

[المسائلة الأولى]
[في الواجب والقديم]

قوله : «**المسألة الأولى** : هي أن الله واجب بذاته؛ لأنه يستحيل أن يكون وجوبه بغيره، إذ ذاك الغير لا يخلو[1] أن يكون واجباً بنفسه، فينقل الكل إليه، أو أن يكون واجباً بغيره[2]، فمتى ما كان واجباً بغيره، لزم الدور والتسلسل والإنية، إلى وجوبه بالذات .

فالدور والتسلس باطلان، والواجب بالذات هو الباري عز اسمه» .

أقول : هذه المسألة الأولى من المسائل الثلاث، أتى بها من باب المقدمة، لانتاج أن العالم قديم كما يزعمه، وإلَّا فلا إشكال في قيام الواجب بذاته؛ لأن وجوبه عين ذاته، فالموجود بالحقيقة هو الواجب، والممكن خلافه، فالوجوب كينونة الشيء على ما هو عليه بلا مغايرة ولا اعتبار، إذ الغيرية والاعتبار يستلزمان الاختلاف، وهو مستلزم للاثنينية، المستلزمة للمعية، أو السبقية المشاكلة، وهما يستلزمان الجهة المستلزمة للتحديد، المستلزم للحدوث، المستلزم للوجوب .

فثبوت الواجب واجب الثبوت، هذا على طريق الخصام والجدل، أما بالذوق والكشف فالواجب عين الوجوب الذي هو حقيقة، فيكون مستند كل موجود، وإلَّا لامتنع وجود كل موجود

(١) لا يخلو غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) لغيره في «ن-ب» .

لرجوع كل موجود ناقص، واستناده إلى الكامل المطلق، الذي لا يشوبه نقص ولا تغير، إذ النقص والتغير فرع ثبوت الإمكان، ولازم الحدث فأزله وجوده، ووجوده عينه، فهو الباطن والظاهر، والظهور أثره، فبالظاهرية يتحقق حكم الظهور، وبالفاعل من حيث هو فاعل يعرف كل مزبور، وإلّا لم توجد الكائنات، ولم تكن الممكنات، فبه تعرف الأشياء؛ لأنه المعرفة فعله وخلقه، ولا يعرف بما صدر عنه؛ لأن كل شيء انمحق بظهوره، وأخفاه نوره، ولا يصح أن يميز بما هو محتاج إليه، إذ كل مستدل عليه بغيره فهو مسبوق ولو بالدلالة، محتاج إلى معرفة [بآلة ولو عقلية، وإشارة معنوية، فيكون إذاً مفتقراً][1] إلى ما هو مفتقر إليه، محتاجاً إلى ما هو مستند في وجوده إليه، بل هو الدال على ذاته بذاته، المتنزه عن جميع مخلوقاته، وقد قال علي عليه السلام : (اعرفوا الله بالله)[2] .

فالله -عز اسمه- أول كل شيء، وسابق على كل شيء، فبمشيئته كانت الأشياء، وبشعاع نوره وجدت الأضواء، فهو الدليل لكل مدلول، والعلة[3] لكل معلول، فلا اشتراك له مع غيره ولا اتحاد،

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

(٢) أصول الكافي، ج١، ص١٠٧، ح١، باب : أنه لا يعرف إلّا به . بحار الأنوار، ج٣، ص٢٧٠، ح٧، باب : ١٠ .

(٣) راجع التعليقة رقم (١) في الصفحة رقم (١٢٨) من هذا الكتاب في مراد المؤلف قدس سره من كون الله علة .

إذ ليس في وجوده فرج تسع الممكنات، أو خلو[١] تحله الكائنات، ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[٢]، وما أحسن ما قال في هذا المقام سيد الشهداء عليه السلام : (**إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعني إليك بخدمة توصلني إليك، كيف يستدل عليك بما هو مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً**)[٣]، فهذا هو الاستدلال الشهودي، ودليل الحكمة[٤] المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[٥] .

[المسألة الثانية]
[في صفات الله وهل أنها لاحقة في الوجوب بذاته]

قوله : «المسألة الثانية : هي أن صفاته لاحقة في الوجوب بذاته؛ لأن الحدوث في الصفات لازم الحدوث في الذات، وذاته ليس بمحل

(١) خلق في «ن-ب» .

(٢) سورة القصص، الآية : ٨٨ .

(٣) بحار الأنوار، ج٩٥، ص٢٢٥ .

(٤) تقدم تعريف هذا المصطلح في الصفحة رقم (٧٣) من هذا الكتاب .

(٥) سورة فصلت، الآية : ٥٣ .

الحوادث، فصفاته قديمة، واجبة بوجوب ذاته .

والدليل على ذلك أنه لا يخلو أن يحتاج في وجود صفاته إلى نفسه أو إلى غيره[١]، فإن احتاج في وجود صفته إلى غيره كان غير تام الوجود؛ لأن الكامل بغيره يتعلق كماله بذلك الغير، وذلك الغير لا يخلو إما أن يكون واجباً بنفسه وذلك محال، وإما أن يكون متعلق الوجود بوجود من تعلق كمال وجوده بوجوده، فلزم الدور، أو لزم التسلسل إلى ما لا نهاية له وكلاهما محال.

فثبت أنه غير محتاج إلى غيره، فبقي الكلام في أن لو احتاج في وجود صفاته إلى نفسه، وإيجاد الصفات صفة أيضاً، فهي إما أن تكون قديمة، وإما أن تكون محدثة أوجدها، وإيجاد ذلك المحدث أيضاً صفة، إما أن يتسلسل الأفراد ويدور، وكلاهما محال، فثبت أن صفاته واجبة بوجوبه، قديمة بقدمه» .

أقول : اعلم –وفقك الله تعالى– إن هذه المسألة الثانية من المسائل الثلاث أتى بها ليقرر أن الصفات إذا كانت قديمة، واجبة بوجوب ذاته، وأنها صفات الكامل المطلق، وأن كمالها لا يكون إلّا بمقتضياتها، لاستحالة مفهوم العالم بلا معلوم، وكذا سائر الصفات،

---

(١) في هامش المخطوطة «ن–ب» : «يريد بالغير نفس الصفات؛ يعني لو احتاج في إيجاد صفاته إليها، فإن كانت واجبة لزم المحال؛ لأنها صفة والصفة نفسها فرع الموصوف» . [منه قدّس سره] .

وجب قدم العالم؛ لأنه هو مقتضى الأسماء والصفات الإلهية، وهو بعيد عن الحق، فنأتي أولاً بالمعارضة والنقض، ثم بالدليل على أن صفاته عين ذاته بلا اعتبار ولا تكثر، ليجيء الحق ويزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً(١) .

فاعلم أنه لو قيل : إن صفاته لاحقة في الوجوب بذاته، لكان ذلك يقتضي التعدد، كما هو معلوم من مذهبه ومذهب مشاكله في الأسماء والصفات الإلهية، إذ هي عندهم ليست هو، وليست غيره، فكمالها بوجود مقتضياتها كما يأتي ذكره في آخر عبارته .

فنقول : إن تعدد الصفات كثرة تحتاج في وجودها إلى مبدأ وحدة لا كثرة فيها، هي أصل الكثرة، وتلك الكثرة [إما أن تكون هي هو، أو هي غيره، فإن كانت هو وجب إلَّا كثرة، وإلَّا لوجب استناده إلى وحدة](٢) لا كثرة فيها، وننقل الكلام إلى المستند إليه .

وإن كانت غيره فإما أن تكون قديمة أو حادثة، فإن كانت قديمة تعددت القدماء وهو باطل؛ لأن القديم لا يصح أن يستند إلى غيره؛ لأن معنى القديم الحق هو الذي أول كل شيء، ومبدأ كل شيء، ولا غيره شيء، لا فرضاً ولا وجوداً إلَّا به .

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿**جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ . [سورة الإسراء، الآية : ٨١] .

(٢) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

وإن كانت حادثة كان محلاً للحوادث، أو تكون الصفة قائمة من غير موصوف، وكلا الأمرين باطل؛ للزوم الحدوث في الصفات الحدوث في الذات، كما قاله على الأول، وللزوم تحقق الشيء الذي لا شيئية له من نفسه، بشيئية نفسه على الثاني، وهما معاً محالان .

وقوله : «فبقي الكلام في أن لو احتاج في وجود صفاته إلى نفسه ...إلخ» .

فنقول : إن صفاته إذا كانت قديمة بقدمه، واجبة بوجوبه، لا يخلو إما أن تكون جزئية أو غيره، فإذا كانت جزئية لزمه التركيب اللازم للحدوث، وإن كانت غيره وجب أن تحتاج إلى غيره أو إليه في إيجادها أو قدمها؛ [لأنها إن احتاجت إليه أو إلى غيره في قدمها، لزم أن القديم محتاجاً إلى غيره، والمفروض أن القديم هو الذي لا يستند إلى غيره، وإن احتاجت في إيجادها إليه أو إلى غيره، لزمها الحدوث، والمفروض أنها قديمة هف](١)، والكل باطل .

وأما الدليل على أن صفاته عين ذاته بلا اعتبار، فنقول : إن وجود صفاته ليس تابعاً لوجوب ذاته بالمعنى الذي أراد، بل وجوب ذاته عين وجوب صفاته، بلا تكثر ولا اعتبار، وليس صفاته غيره بوجه ما؛ لأن عدم العينية باعتبار نفس الغيرية بكل اعتبار؛ لأنه ليس مركباً، فتكون فيه جهتان، والغيرية تستلزم التعدد المستلزم للفرج،

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

المستلزمة للكثرة الغير المتناهية أزلاً، وذلك أنها لو كانت قديمة قائمة بذاته، وهي غيره ولو باعتبار، لكانت غيره بكل اعتبار؛ لأن صرف الوحدة نفي ثبوت الكثرة، ووجود الكثرة فرع ثبوت صرف الوحدة، وإلّا لم تكن كثرة أصلاً، فيلزم أن تكون قديمة مستندة، وهو تناقض ظاهر؛ لأن القديم هو الذي لا يستند إلى الغير، والمستند هو المحدث الذي لا يستقل بنفسه .

وإن كانت هو بكل اعتبار، فلا صفة [وموصوف، فلا أثر لمقتضى صفة، وأثر لمقتضى صفة أخرى، وإلّا لأتى ما قلنا، بل الآثار مقتضى صفة][1] تنسب للذات نسبة فعلية، هي مجمع الصفات الآثارية، وكل اقتضاء كما يأتي بعد .

فظهر أن وجوب ذاته عين وجوب صفاته، وصفاته عين ذاته، لا يقال : يلزم كونه محلاً للحوادث؛ لأن هذه الصفة لا تقوم إلّا بموصوف، لأنا نقول : إن هذه الصفة تقوم به قيام صدور لا قيام عروض، والاقتضاءات راجعة إليها، بخلاف لو جعلنا الصفات قديمة والاقتضاءات لها، فإنه يلزم أن يكون محلاً للحوادث على ما قالوه؛ لأن الاقتضاء صفة، فيجب أن تكون قائمة بموصوف وهو قديم، فإن كانت حادثة كان محلاً للحوادث، وإن كان الاقتضاء قديماً فالمقتضي -اسم مفعول- صفة للاقتضاء محدثة، فيأتي ما فروا منه .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن-ج» .

إذا عرفت هذا فالحق أن الحق واحد بالذات، لا تعدد ولا تكثر، ولا صفة وموصوف، فليس قولنا[1] : عالماً قادراً، سميعاً بصيراً، أنها صفات زائدة على ذاته، أو أن لها مفهوماً وعنواناً غير الذات، بل علمه قدرته، وقدرته سمعه، وسمعه بصره، وبصره ذاته .

فإذا قلنا : عالم قادر إلى غير ذلك، نريد أن له معنى العالمية والقادرية، إذ لا معلمة فلا معلوم، ولا مقدرة فلا مقدور، فلا يصح أن يقال : عالم بعلم، وقادر بقدرة، إلى غير ذلك من الصفات الذاتية؛ لأن صفاته ذاته، فلا صفة قائمة بذات الموصوف غير الموصوف حتى يصح التعلق .

ولا نريد أن له معنى العالمية والقادرية، والسمع والبصر أن هذا شيء غيره ولو باعتبار، بل إنما أسماؤه تعبير، وصفاته تفهيم، وكل تعبير وتفهيم مخلوق، فلا قديم إلَّا الله -عز اسمه-، وصفاته ذاته بلا تكثر ولا اعتبار ولا كيف، فهو الشيء فلا شيء سواه، وليس له إضافة ولا نسبة، إذ هما يقتضيان الغيرية، والغيرية تنافي حقيقة القدم، ولا يلزم مما ذكرناه من نفي مقتضيات الصفات لانتفائها جهل أو عجز أو غير ذلك، إذ الجهل والعجز إنما يكونان عن معلوم مفقود، ومقدور ممتنع، وليس ثمة في الأزل معلوم فيصح الجهل به، ولا مقدور فيصح العجز عنه، إذ لو كان معلوم مقدور لكان قديماً حادثاً .

(١) قولنا غير موجودة في «ن-ب» .

فالعلم لا يتعلق بالمعدومات، والقدرة لا تقع على الممتنعات، وإلَّا لكان العدم وجوداً، والممتنع موجوداً، أو تنفك الرابطة، فينتفي التعلق والوقوع، فلا يصح النسبة والاقتضاء الذاتيان كما قالوا؛ لعدم تعلقهما، فمن قال بلزوم الجهل والعجز، فإنما هو قياس على كون العلم فعلياً أو إنفعالياً، وعلمه تعالى ليس فعلياً ولا إنفعالياً[1]، إذ هما غيران، بل العالم المطلق الذي لا يشوبه جهل بوجه ما، لأن علمه ذاته لا غير، كما قال عليه السلام ما معناه : **(والله حياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، ونور لا ظلمة فيه)**[2]، فعلمه بالمعلومات نفس المعلومات، فهو في أزله عالم بالمعلومات في حدوثها وأمكنة حدودها، لا أنه عالم بها في الأزل، إذ الأزل عينه لا غير وهو غيره، فلو علمها فيه كانت هي هو، وليس عالماً في الأزل بها في الحدوث؛ بمعنى أن لها حقائق أو صوراً عنده في الأزل؛ لأن الأزل ليس ظرفاً له، بل علمه بها قبل كونها هو علمه بها بعد كونها بلا تغاير ما، بل هو بعد كونها عالم بها قبلها، لا قبلية زمانية، وإلَّا لكان القبل غير البعد، فيختلف العلم ولو بالجهة من الأولية والآخرية، فافهم .

---

(١) وعلمه تعالى ليس فعلياً ولا إنفعالياً غير موجودة في «ن-ب» .

(٢) قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : **(إن الله علم لا جهل فيه، وحياة لا موت فيه، ونور لا ظلمة فيه)** . [الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام، ج١، ص٢٢٨، ح٥، باب : ٣٧ . نور البراهين، ج١، ص٣٤٨، ح١١، باب : ١٠ في العلم] .

ولقد تاهت في هذا المضمار أراء العلماء، ورجعت خاسئة بعد الطموح أفكار الحكماء، فكل يقيس بمقياسه، ويزن بقسطاسه، فليس للعقول إدراك سوى غاياتها، ولا علم لها إلَّا بنهاياتها، فكل معلوم لها مخلوق حادث، فحظها منه إدراك ثبوت حق لا يوصف، وتثبيت وجود صرف لا يعرف، ﴿**وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ**﴾[١].

نعم له صفات حادثة، تنسب إليه نسبة فعلية، فيقال: عالم بالمعلومات، وقادر على المقدورات، سميع بالمسموعات، بصير بالمبصرات، وكلها راجعة إلى صفة، وهي مجمع تلك الصفات، ومبدأ تلك التعينات، أما تسمع قول مولانا الباقر عليه السلام: (**هل سمي عالماً قادراً إلَّا لما وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين**)[٢].

فكل عبارة وإشارة دلت على مفهوم فهو حادث، وقع على حادث، ولذا قال عليه السلام: (**هل سمي**)؛ أي: عرف وأطلق عليه الاسم إلَّا بعد التعلق، وهو هو لا يطلق عليه اسم ولا رسم، ولا وصف ولا حد، ولا كيف له؛ لأن هذه كلها حدود للحوادث، فعلمه بالأشياء، وقدرته عليها، وكذا سائر صفاته بالنسبية إنما هو لتلك الصفة، بل عين تلك الصفة بلا تعدد ولا تكثر فيها، ولا

---

(١) سورة النور، الآية: ٤٠.

(٢) راجع الرواشح السماوية، ص١٣٣.

بارتسام صورة، بل على نحو يعرفه الراسخون في العلم، فهو علم إحاطة، وشمول قدرة؛ لأن الصفة تشبه أثر موصوفها، فليس إلَّا الله وخلقه، وليس بينهما ثالث[1]، ولا معهما شيء آخر، (**خلق الله المشيئة بنفسها**)، فلا دور ولا تسلسل، (**ثم خلق الأشياء بالمشيئة**)[2]، فلا سبقية ولا معية .

ولا يلزم من ذلك جهل؛ لأن فعله إحداثه لا غير، فبحكم الإحداث تنتفي المعلومية فلا جهل؛ لأن المحدث نفسه إحداثه، فلم يكن شيئاً قبل نفسه حتى يصح العلم به، أو الجهل عليه، فراجع ما سبق .

ولا يلزم أن يكون أيضاً محلاً للحوادث، أو تكون الصفة قائمة بدون موصوف؛ لأن الصفات قسمان؛ صفة عروض، وصفة صدور، فمن الأولى يلزم أحد الوجهين، ومن الثانية ينتفي الوجهان، ألا ترى أن الضرب صفة قائمة بالضارب، وهي غير حالة فيه مع أنها قائمة به، فصفاته تعالى كلها صفات صدور لا عروض فيها بحال من الأحوال .

---

(١) قال مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام في حديث طويل : (...**حق وخلق لا ثالث بينهما، ولا ثالث غيرهما**) . [عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص١٣٩، ح١، باب : ١٢ . التوحيد، ص٤١٧، ح١، باب: ٦٥ . بحار الأنوار، ج١٠، ص٢٩٩، ح١، باب : ١٩] .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة رقم (١١٩) من هذا الكتاب .

وأما صفاته القديمة فليست بصفات عروض ولا صدور، بل هي عينه، ولقد سبق لي كلمات في مراتب التوحيد، فراجع ما سبق[١]، ولا تذهب بك الأهواء تابعاً للأراء، فتخبط خبط عشواء، ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ**﴾[٢] .

واعلم أن كل من قال بثبوت الحقائق المتأصلة، والْمُثُل، أو بوجود الاقتضاء، فإنما يحوم حول هذا المقام، ولكنه لا يدرك ولا يدركه الطالبون، ولا يناله الواصلون، ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[٣] .

فثبت المطلوب ﴿**لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾[٤] .

[المسألة الثالثة]
[هل صفاته كاملة؟]

قوله : «المسألة الثالثة : هي أن صفاته كانت كاملة أيضاً، لما قلناه من الحدوث فيها، لازم للحدوث في الذات، ولا كمال لوجودها إلَّا بوجود مقتضياتها، إذ يستحيل وجود الرازق دون

---

(١) راجع الصفحة رقم (٢١) من هذا الكتاب .

(٢) سورة يونس، الآية : ٣٢ .

(٣) سورة يوسف، الآية : ٧٦ .

(٤) سورة ق، الآية : ٣٧ .

المرزوق، إلى غير ذلك من معاني جميع الأسماء والصفات النسبية، فبالضرورة لا يوجد أحدهما إلّا بوجود الآخر، ولا خلاف في أن الموجودات الخلقية كانت في علم الله موجودة لعدم جهله، وقد كانت صفاته وأسماؤه كاملة كما هي الآن، لأن آثارها موجودة في العلم الإلهي، كما أن الأسماء والصفات، بل ذاته إنما كانت موجودة في علمه، إذ لا وجود لغيره، فلما ظهر العالم فقل في العالم ما تقوله في الأسماء والصفات، إن شئت قلت فيها : إن الصفات عينها صدقت، وإن العالم بالحق، والحق بالعالم، وليس الحق بالعالم، وليس العالم بالحق.

وإن شئت قلت : إن العالم قديم بهذا الاعتبار .

وإن شئت قلت : إن العالم محدث باعتبار حكمه الذي يقتضيه لذاته، وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل» .

أقول وبالله التوفيق : إن هذه المسألة الثالثة من المسائل الثلاث، وهي آخر ما أراد إيراده؛ لأنها نتيجة لما قبلها، فكانت هي المطلوبة بالذات في هذا المقام، ولأجلها قدم المسألتين من باب المقدمتين، لينتج أن العالم قديم، وهي أن الصفات كاملة في القدم، وكل كامل فكماله بمقتضياته، فيكون الصفات كمالها بمقتضياتها أزلاً وهو باطل؛ لأن صغراهما قد بينا بطلانها لعدم وجود الصفات متحققة كما يزعم، فليس إلّا ذات بحت لا غير، والكمال لها فرع ثبوتها .

وأما الكبرى فبطلانها ضروري، أما في القديم فــلا خــلاف في ذلك، وأما فيما سواه فغير ثابت في كل أفراده، فنأتي به أولاً علــى سبيل المعارضة، فنقول : [لو كانت المقتضيات موجودة في الأزل، لزم كون صفاته محلاً للحوادث، فتكون حادثــة ولــو في الظهــور، لا يقال][(١)] : إنما عنده في الأزل مقتضيات صفاته، وهي صور علميــة، وحقائق الأشياء، وهي كما قالوا : كينونة الصفات فليــست هــو، وليست غيره، **فنقول** : المواد الجسمانية، والحــوادث الزمانيــة، إن كانت عنده في الأزل أتى ما قلناه، وتلك العندية إن كانت ظرفيــة امتنع الحدوث، أو الخلو منها حال حدوثها، وإلّا أتي الجهل بها حالاً، فلا تكون معلومات له، ولا مفتقرة إليه حال افتقارهــا، إذ الممكــن شأنه الفقر، وإن لم تكن العندية ظرفية، وهي أزليــة، تعــدد الأزل، والكل محال .

وأيضاً يلزم من كون مقتضياتها موجــودة أزلاً وحــدثاً؛ أي : كون لها مقتضيات أصلاً، كونها نقيصة لذاتها، إذ الــنقص احتيــاج الشيء إلى ما لولاه لانتفى وجوده؛ كالأمور النسبية، وكمالها حينئذٍ مقتضياتها، فيلزم من ذلك افتقار الذات في كمالها الــذاتي إلى تلــك المقتضيات؛ لأن المفتقر إلى المفتقر إلى الغير مفتقر إلى ذلك الغير، وهو مستلزم للحدوث في الذات .

(١) ما بين المعقوفتين غير موجود في «ن–ج» .

لا يقال : إن الذات غير مفتقر إلى الصفات؛ لأنا نقول : إنه يلزم على دعواهم الافتقار إليها، وإلَّا للزم عجزه وجهله، أو يأتي ما قلنا كما هو الحق .

وأيضاً الكلام في الصفات غير العلم الموجب لوجود الحوادث الزمانية، في الأزل الممتنع من الحدث، فيلزم اجتماع النقيضين، كالقدرة للمقدورات، والإرادة إن كانت قديمة للمرادات، وإلَّا يلزم عدم وجود المقدورات والمرادات، للقصور في القدرة، وعدم التعلق في الإرادة .

وأما الدليل على أن صفاته لا مقتضى لها؛ لأنها عين الذات بلا تكثر ولا تغير ما، والاقتضاء إنما هو في فعله لا في ذاته، هو أنه كامل لذاته، والكمال له به، فلا يحد بكمال خارج عنه، وإلَّا لم يكن كاملاً مطلقاً، والكمال المطلق منزه عن التكميل عن النقص .

والقديم هو الذي يكون وجوده اقتضاء ذاته، ووجوده كماله لذاته، فوجوده عين ذاته .

وقولي : اقتضاء ذاته تعبير؛ لأن ما يكون وجوده باقتضاء فحادث مسبوق بالاقتضاء المسبوق بمثله، والله -جل شأنه- موجد الاقتضاء والإيجاد، فهو علة العلل[1]، والقديم الذي لم يزل اخترع

---

(١) راجع التعليقة رقم (١) في الصفحة رقم (١٢٨) من هذا الكتاب لمراد المؤلف قدس سره في كون الله علة .

الأشياء لا من شيء سبق، وإلّا لما صح اختراعها وابتداعها لا على مثال، وإلّا لبطل ابتداعه، ولاحتاج في إيجادها لها قبلها، فتكون كائنة قبل تكوينه، متحققة الوجود قبل إيجاده وتعينه، فهي مستغنية عنه قبل الإيجاد، وهو محتاج إليها في القبول والاستعداد، فالغنى شأنها، والفقر شأنه، والثبوت عينها، والتنقل عينه، فلم يكن لخلقه مخترعاً، ولا لصنعه مبتدعاً، بل إبراز ما بطن وإظهار ما خفي، وحينئذٍ يكون الإبراز والظهور قديماً أزلياً، إذ هو من مقتضياته، فلا ظهور ولا إبراز؛ لأنهما نفس الحدود كما قاله، أو يكون الظهور والإبراز حادثاً، فيحتاج إلى مثله، ويتسلسل ويدور .

وأيضاً لو كانت المفعولات مقتضى صفاته الذاتية، للزم تقدمها على الصفات الفعلية، والحال أن المفعولات أثر الفعل، فيجب تقدم الأثر على المؤثر ولو بوجه ما .

وقوله : «معاني جميع الصفات والأسماء النسبية -إلى قوله- : إلّا بوجود الآخر»، قد تقدم الكلام عليه في شرح المسألة السابقة، بأن النسب والإضافات مخلوقة محدثة، أتى بها للتفهيم والتعبير؛ لمعرفة اللطيف الخبير، فإذا قلنا : عالم قادر، مدرك سميع بصير، فإنما نريد أن له معنى العالمية إذ لا معلوم، والقادرية إذ لا مقدور، والإدراك إذ لا مدرك، والسمع إذ لا مسموع، والبصر إذ لا مبصر، فلا نسب ولا إضافات لذاته، فكل مفهوم وعنوان أو اسم أطلق فإنه لا يقع عليه،

ولا يصل إليه، وكل عبارة لمعنى وإشارة لجهة، فصفة حادثة وقعت على حادث .

نعم هذه النسب والإضافات، واطلاق الأسماء والصفات، إذا أريد مفهوماتها تطلق على صفة حادثة، تنسب إليه لنسبة فعلية كما قلنا سابقاً .

ودعوى الضرورة باطل؛ لأنه قياس على نفسه وأبناء جنسه، فلو تساوت النسبة في الصفات الذاتية، لاقتضى ذلك التساوي في الذات أو المشابهة، فافهم .

وقوله : «لا خلاف في أن الموجودات الخلقية، كانت في علم الله موجودة لعدم جهله»، دليل على جهله؛ إذ العلم علمان، وقد مر الكلام مستوفاً فيه .

وقوله : «إن شئت قلت كذا، وإن شئت قلت كذا ...إلخ»، تمويج في العبارة، وقول بلا استنارة، مبني على قدم العالم في العلم الإلهي، فراجع ما سبق، وإياك والعالجة والخطل، ثبتنا الله وإياك من الخطأ والزلل .

وهذا آخر ما أردته في شرح توحيد عبد الكريم بن إبراهيم الجيلاني[1]، وقع الفراغ من هذا الشرح على يد مؤلفه؛ علي نقي بن أحمد بن زين الدين الهجري، ضحى الجمعة آخر شهر جمادى الآخر،

(١) تقدم ترجمته في الصفحة رقم (١٨) من هذا الكتاب .

سنة الرابعة والعشرين والمائتين والألف «١٢٢٤هـ» في بلد يـــزد، حرسها الله من طوراق الزمان، بمحمد وآله، حامداً مصلياً مستغفراً .

فهرس الآيات الكريمة

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٢٢-٤٢

فهرس الروايات الشريفة

فهرس المصادر والمراجع للكتاب

۞ **القرآن الكريم** .

١- **أصول الكافي**؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : «٣٢٩هـ»، دار الأسوة للطبعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، إيران : الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .

٢- **إجازات الحاج ميرزا موسى الأسكوئي**، «مخطوط» .

٣- **إقبال الأعمال الحسنة**؛ للسيد علي بن موسى بن طاووس الحلي، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

٤- **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**؛ للشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، المتوفى عام : «٨٠٥هـ»، مؤسسة التاريخ العربي، بيرون لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٠هـ» .

٥- **الاختصاص**؛ للشيخ محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، المتوفى عام : «٤١٣هـ»، المعروف بـ«الشيخ المفيد»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة، الطبعة السادسة : «١٤١٨ هـ».

٦- **الاحتجاج**؛ لأبي منصور، أحمد بن علي الطبرسي، نشر المرتضى، مشهد : «١٤٠٣ هـ».

٧- **إرشاد القلوب**؛ للحسن بن أبي الحسن الديلمي، المتوفى عام : «٨٤١هـ»، دار الأسوة للطبعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، إيران : الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

٨- **بحار الأنوار**؛ للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى عام : «١١١٠هـ»، مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان، «١٤٠٣هـ» . دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة : «١٤٠٣ هـ» .

٩- **بصائر الدرجات**، لأبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفّار؛ المتوفى عام : «٢٩٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، طهران : «١٤٠٤هـ» .

١٠- **البلد الأمين**؛ للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي الكفعمي، المتوفى عام : «٩٠٥هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٢٥هـ» .

١١- **تراجم الرجال**؛ للسيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة : «١٤١٤هـ» .

١٢- **تاريخ مدينة دمشق**؛ لابن عساكر، المتوفى عام : «٥٧١هـ»، تحقيق : علي شيري، دار الفكر، «١٤١٥هـ» .

١٣- **تهذيب الكمال**؛ لأبي الحجاج يوسف المزي، المتوفى عام : «٧٤٢هـ»، تحقيق : الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة : «١٤٠٦هـ» .

١٤- **التوحيد**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المشهور بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان : «ب-ت-ط» .

١٥- **تفسير العيّاشي**، للمحدِّث الجليل أبي النَّصر محمد بن عيَّاش، المتوفى عام : «٣٢٠هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ» .

١٦- **تفسير الصافي**؛ للمولى ملا محسن الملقب بـ«الفيض الكاشاني»، المتوفى عام : «١٠٩١هـ»، منشورات مكتبة الصدر، إيران ظهران، الطبعة الثانية : «١٤١٦هـ» .

١٧- **تفسير الصراط المستقيم**؛ لعلي بن يونس النباطي البياضي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف : «١٣٨٤ هـ» .

١٨- **تفسير القمّي**؛ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٢ هـ» .

١٩- **تفسير كنز الدقائق**؛ لميرزا محمد بن محمد رضا إسماعيل بن جمال الدين المشهدي القمي، المتوفى عام : «١١٢٥هـ»، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة : «١٤١٤هـ» .

٢٠- **تفسير نور الثقلين**؛ للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيق : السيد هاشم رسول المحلاتي، مؤسسة إسماعليان، قم المقدسة، الطبعة الرابعة : «١٤١٢هـ» .

٢١- **تهذيب الأحكام**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٣٨٥هـ»، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران : «١٣٦٥هـ ش» .

٢٢- **الخصال**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«بالشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٠هـ» .

٢٣- **الخرائج والجرائح**؛ للفقيه المحدث والمفسر الكبير قطب الدين الراوندي؛ المتوفى عام : «٥٧٣هـ»، مؤسسة النور للمطبوعات، تبيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤١١هـ» .

٢٤- **خصائص الأئمة** عليهم السلام؛ للشريف الرضي، المتوفى عام : «٤٠٦هـ»، تحقيق : د محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد : «١٤٠٦هـ».

٢٥- **الجواهر السنية**؛ لمحمد بن الحسن بن علي بن الحسين الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٢هـ» . ومكتبة المفيد، قم المقدسة . «ب-ت-ط» .

٢٦- **الجامع الصغير**؛ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى عام : «٩١١هـ»، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠١هـ» .

٢٧- **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**؛ للسيد حيدر الآملي، تصحيح هنري كربين، وعثمان إسماعيل يحيى، شركة انتشارات علمي، إيران : «١٣٦٨هـ» .

٢٨- **روضة الواعظين**؛ لمحمد بن الحسن الفتال، المتوفى عام: «٥٠٨هـ»، الناشر دار الرضي، قم المقدسة . «ب-ت-ط» .

٢٩- **روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات**؛ لميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، الدار الإسلامية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١١هـ».

٣٠- **الرواشح السماوية**؛ لمحمد باقر الحسيني المرعشي الداماد، المتوفى عام : «١٠٤١هـ»، مكتبة السيد المرعشي النجفي، قم المقدسة إيران، «١٤٠٥هـ ش» .

٣١- **سبل الهدى والرشاد**؛ لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي، المتوفى عام : «٩٤٢هـ»، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العالمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٤هـ» .

٣٢- **السرائر**؛ ابن إدريس الحلي، المتوفى عام : «٥٦٨هـ»، الناشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم المقدسة، الطبعة الثانية : «١٤١٠هـ» .

٣٣- **شرح نهج البلاغة**؛ لعز الدين أبي حامد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، المتوفى عام : «٦٥٦هـ»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، «ب-ت-ط» .

٣٤- **شرح القصيدة**؛ للسيد كاظم الحسيني الرشتي، المتوفى عام : «١٢٥٩هـ»، «حجري» .

٣٥- **شرح الفوائد**؛ للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٤١هـ» . «حجري» .

٣٦- **شذرات ذهب في أخبار من ذهب**؛ للشيخ عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

٣٧- **صحيفة الأبرار**؛ تقي المامقاني، تبريز : «١٣٨٨هـ» .
٣٨- **الصحيفة السجادية**؛ للإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، المتوفى عام : «٩٥هـ»، نشر الهادين قم المقدسة : «١٣٧٦» .
٣٩- **طبقات النحويين واللغويين**؛ للزبيدي، تحقيق : أبي الفضل إبراهيم، دار التعارف بمصر : «١٩٧٣م» .
٤٠- **عوالي اللآلي**، لابن أبي جمهور الأحسائي، المتوفى في : «القرن العاشر»، دار سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة : «١٤٠٥هـ».
٤١- **عيون أخبار الرضا** عليه السلام؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، عام : «٣٨١هـ»، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٣٧٨ ق» .
٤٢- **علل الشرائع**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ بالصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ»، مؤسسة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٨هـ» .
٤٣- **علم اليقين في أصول الدين**؛ للمولى محمد بن مرتضى المدعو بملا محسن الفيض الكاشاني، تحقيق : الأستاذ محسن بيدارفر، دار البلاغة، بيروت لبنان، الأطبعة الأولى : «١٤١٠هـ» .
٤٤- **الفصول المهمة في أصول الأئمة**؛ للحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، تحقيق : محمد بن محمد حسين، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا عليه السلام، الطبعة الأولى : «١٤١٨هـ» .
٤٥- **فروع الكافي**؛ لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي، المتوفى عام : «٣٢٩هـ»، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثالثة : «١٣٦٧هـ» .
٤٦- **قصص الأنبياء** عليهم السلام؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢ هـ» .

٤٧- **قاموس المذاهب والأديان**؛ د. حسين علي حمد، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٩هـ» .

٤٨- **كشف الخفاء**؛ لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، المتوفى عام : «١١٦٢هـ»، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية : «١٤٠٨هـ» .

٤٩- **الكنى والألقاب**؛ للشيخ عباس القمي، تقديم : محمد هادي الأميني، منشورات مكتبة الصدر، طهران إيران، الطبعة الخامسة : «١٤٠٩هـ» .

٥٠- **كنز العمال**؛ للمتقي الهندي، المتوفى عام : «٩٧٥هـ»، تحقيق : الشيخ بكري حياني، والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان . «ب-ت-ط» .

٥١- **مستدرك سفينة البحار**؛ للشيخ علي النمازي الشاهرودي، المتوفى عام : «١٤٠٥هـ»، تحقيق : الشيخ حسن بن جمعة النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة : «١٤١٩هـ» .

٥٢- **منهاج السالكين**؛ للشيخ على نقي الأحسائي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٤٦هـ» .

٥٣- **من لا يحضره الفقيه**؛ للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المعروف بـ«الشيخ الصدوق»، المتوفى عام : «٣٨١هـ» .

٥٤- **مستدرك الوسائل**؛ للحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي، المتوفى عام : «١٣٢٠ أو ١٣٣٠هـ»، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية : «١٤٠٨ هـ» .

٥٥- **مشرق السمسين**؛ للشيخ بهاء الدين العاملي، المتوفى عام : «١٠٣١هـ»، الناشر مكتبة بصيرتي، «١٣٩٨هـ» .

٥٦- **مشارق أنوار اليقين**؛ للحافظ رجب البرسي، المتوفى عام : «٨١٣هـ»، تحقيق : السيد جمال السيد عب الغفار أشرف المازندراني، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤٢٢هـ» .

٥٧- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون**؛ للعلامة محمد علي التهانوي، تحقيق : د. علي دحروج، تقديم وإشراف د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٩٩٦م» .

٥٨- **موسوعة الأديان والمذاهب**؛ د. سميح دغيم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٩٩٨م» .

٥٩- **الملل والنحل**؛ لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، المتوفى عام : «٥٤٨هـ»، دار ومكتبة الهلال، بيروت لبنان : «١٩٩٨م» .

٦٠- **مناقب آل أبي طالب**؛ محمد بن شهر آشوب المازندراني، المتوفى عام: «٥٥٨هـ»، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف: «١٣٧٦هـ».

٦١- **مدينة المعاجز**؛ للسيد هاشم البحراني، المتوفى عام : «١١٠٧هـ»، تحقيق الشيخ عزة الله المولائي الهمداني، مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى : «١٤١٣ ق» .

٦٢- **معجم الكلام**؛ لآية الله السيد محمد الحسيني الميلاني، انتشارات تابان، «١٤١٧هـ» .

٦٣- **معجم الفرق الإسلامية**؛ ؛ للسيد يحيى شريف الأمين، دار الأضواء -بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٠٦هـ» .

٦٤- **مفاتيح الأنوار**؛ للعلامة الشيخ محمد آل أبي خمسين، المتوفى عام : «١٣١٦هـ»، تحقيق وتعليق : الشيخ عبد المنعم العمران، توزيع دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

٦٥- **مصباح المتهجد**؛ لشيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى عام : «٤٦٠هـ»، تقديم : الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى المصححة : «١٤١٨هـ» .

٦٦- **مصباح الكفعمي**؛ لإبراهيم بن علي الكفعمي، دار الرضي «الزاهدي»، قم المقدسة : «١٤٠٥هـ» .

٦٧- **مصباح الشريعة**؛ الإمام جعفر الصادق عليه السلام، المتوفى عام : «١٤٨هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان : «١٤٠٠هـ» .

٦٨- **نور البراهين**؛ للسيد نعمة الله الجزائري، المتوفى عام : «١١١٢هـ»، تحقيق : السيد الرجائي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، الطبعة الأولى : «١٤١٧هـ» .

٦٩- **نهج البلاغة**؛ للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المتوفى عام : «٤٠ هـ»، مؤسسة الأعلمي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى : «١٤١٣هـ».

٧٠- **نهج المحجة**، للشيخ علي نقي الأحسائي قدس سره، المتوفى عام : «١٢٤٦هـ».

٧١- **نصب الراية**؛ لجمال الدين الزيعلي، المتوفى عام : «٧٦٢هـ»، تحقيق : أيمن صالح شعباني، دار الحديث، القاهر مصر، الطبعة الأولى : «١٤١٥هـ» .

٧٢- **وسائل الشيعة**؛ للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى عام : «١١٠٤هـ»، دار إحياء التراث العربي-بيروت لبنان، الطبعة الخامسة : «١٤٠٣هـ» .

٧٣- **الهداية الكبرى**؛ لأبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي، المتوفى عام : «٣٣٤هـ»، مؤسسة البلاغ، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة: «١٤١١هـ».

٧٤- **ينابيع المودة لذوي القربي**؛ للشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفى عام : «١٢٩٤هـ»، مؤسسة دار الأسوة، الطبعة الأولى : «١٤١٦هـ» .

فهرس المواضيع العامة للكتاب

من أعمال المحقق

١) **السلوك إلى الله** عَزَّ وَجَلَّ .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدّس سرّه .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٥هـ» .

٢) **مسائل حكمية** «أجوبة مسائل الشيخ محمد القطيفي» .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدّس سرّه .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٣هـ» . والثانية : «١٤٢٤هـ».

٣) **أسرار أسماء المعصومين** عليهم السلام .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدّس سرّه .

سنة الطبعة الأولى: «١٤٢٣هـ». والثانية: «١٤٢٤هـ». والثالثة : «١٤٢٦هـ».

٤) **خصائص الرسول الأعظم** صلى الله عليه وآله **والبضعة الطاهرة** عليها السلام .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدّس سرّه .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» . والثانية : «١٤٢٦هـ» .

٥) **العصمة** «بحث مفصل في عصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام» .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدّس سرّه .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٤هـ» .

٦) **أحوال البرزخ والآخرة** .

برؤية : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدّس سرّه .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٤هـ» . والثالثة : «١٤٢٥هـ» .

٧) الأربعون حديثاً .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٥هـ» .

٨) أسرار العبادات .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٥هـ»، والثالثة : «١٤٢٦هـ» .

٩) القضاء والقدر .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٦هـ» .

١٠) شرح العرشية .

تأليف : الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٦هـ»، والثانية : «١٤٢٧هـ» .

١١) رسالة الطبيب البهبهاني .

تأليف : السيد كاظم الحسيني الرشتي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى : «١٤٢٧هـ»، والثانية : «١٤٢٨هـ» .

١٢) الرسالة الوعائية .

تأليف : لشيخ أحمد بن زين الين الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٨هـ» .

١٣) الرسالة العلمية .

تأليف : الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٨هـ» .

١٤) شرح رسالة التوحيد .

تأليف : الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي قدس سره .

سنة الطبعة الأولى والثانية : «١٤٢٨هـ» .